

برشلونة بين الإسلام والنصرانية

٩٤ - ٥٦٦٤هـ / ٧١٢ - ١٢٦٩م

جميع الحقوق محفوظة
الكتاب: برشلونة بين الإسلام والنصرانية
٩٤ - ٦٦٤هـ / ٧١٢ - ١٢٦٩م
المؤلف: د.جاسم ياسين الدرويش
د.حسين جبار العليايوي
الطبعة الأولى: ٢٠١٧
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة . نشر . توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

Facebook: Dar Tamoz

برشلونة بين الإسلام والنصرانية

٩٤ - ٦٦٤هـ / ٧١٢ - ١٢٦٩م

د. جاسم ياسين الدرويش د. حسين جبار العلياي

كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة

المقدمة

تقع مدينة برشلونة في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية على البحر المتوسط ، وعند الحافات الشرقية لجبال البرت الفاصلة بين الحدود الفرنسية الجنوبية والشمال الاسباني ، وفيها يوجد أهم الممرات التي تربط أوروبا والأندلس برأ ، وقد اكسبها موقعها هذا أهمية تجارية وأصبحت على مر الأزمان مركزاً تجارياً مهماً ولا بد للحركة التجارية الأوروبية الشمالية أن تمرّ من ناحيتها لتصل إلى أسبانيا ومن ثم إلى البلدان الأخرى عبر البحر المتوسط ، فعدت نقطة ارتباط وارتكاز للتجارة البرية والبحرية لجنوب أوروبا وشمالها ، لاسيما وأنها قاعدة إقليم كتلونية.

وعندما دخل المسلمون شبه الجزيرة الأيبيرية ، كانت المناطق الشمالية الشرقية منها واحدة من أهم أهدافها ، وقد تم افتتاحها في سنة ٧١٢/٥٩٤م ، بعدها تحولت إلى قاعدة للجيوش الإسلامية التي انساحت في بلاد الغال ، واستمرت تحت الحكم الإسلامي حوالي تسعين عاماً ليتمكن النصارى بعدئذ من استعادتها ، وهي أول الثغور الأندلسية التي سقطت بيد النصارى وذلك سنة ١٨٥هـ/

٨٠١م ، وبعد هذا التاريخ تحولت المدينة إلى ساحة للصراع بين الطرفين الإسلامي والنصراني استمر لأكثر من ثلاثة قرون ، كما تحولت المدينة إلى نواة لإمارة أخذت تتوسع تدريجياً فضمت مناطق عديدة من الثغر الأعلى والشرق الأندلسي ، ودخلت في صراع طويل مع المسلمين انتهت بإسهاها في طرد المسلمين من الأندلس.

ويسبب أهمية هذه المدينة ودورها الفاعل في التاريخ الأندلسي والصراع الإسلامي النصراني هناك ، جاءت هذه الدراسة التي قسمت إلى أربعة فصول ، تناول الفصل الأول الجغرافية التاريخية للمدينة ، واستعرضنا فيه اسمها واشتقاقاته حسب ما ورد في المصادر المتاحة لدينا ، ثم موقعها وحدودها والمسافات بينها وبين أممات المدن الأندلسية ، وكما ورد في المصادر العربية ، وتطرقنا إلى نشاطها الاقتصادي من زراعة وصناعة ومعادن وتجارة ، ثم بعض مظاهر الحياة الاجتماعية للمدينة ، مثل صفات السكان ولغتهم ودور اليهود فيها ، فضلاً عن أهم الآثار الموجودة فيها.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان برشلونة تحت الحكم الإسلامي ، واستعرضنا فيه فتح المدينة ، ثم دورها كقاعدة عسكرية في عهد الولاة ، وأوضاعها في عهد الإمارة وما جرت عليها من أحداث حتى سقوطها بيد النصارى سنة ١١٨٥هـ / ٨٠١م.

وأفردنا الفصل الثالث للاشتباكات بين حكومة قرطبة ونصارى برشلونة وكانت الكفة الراجحة فيها في الغالب للمسلمين إذ استطاعت القوات الإسلامية اقتحام المدينة عدة مرات إلا أنها لم

تتمكن من الاحتفاظ بها ، أما الفصل الرابع فقد سلط الضوء على الصراع بين المسلمين ونصارى برشلونة (٤٢٢ - ٦٦٤ هـ / ١٠٣٠ - ١٢٦٥ م) وسعي الأخيرة للتوسع على حساب الأراضي الإسلامية ، وكانت الكفة في الغالب لصالح النصارى.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المهتمين بالتاريخ الأندلسي.

الفصل الأول

جغرافية برشلونة Barcelona التاريخية

أولاً: موقعها وحالتها الطبيعية

ثانياً: ثروتها الاقتصادية وطبيعتها الاجتماعية

أولاً: موقعها وحالتها الطبيعية

ورد اسم المدينة في المصادر التاريخية بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظ (برشلونة ، وبرشونة ، وبرجلونة) والنسبة إليها برجلوني^(١) ، وهي مدينة قديمة^(٢) ، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام^(٣) ، إذ يرجع بناؤها إلى عهد القرطاجيين الذين تمكنوا من فرض سيطرتهم على إقليم قطلونية (كتلونية) Catalogne في القرن الثالث قبل الميلاد ، وفيه تمكن القائد القرطاجني أسدروبال برقة Adrubal Berca^(٤) من بناء مدينة برشلونة ، التي كان اسمها في القديم بارسينو Bercino أو

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٣، ١٠٠، ١١٠، ١٦٢؛ ابن الخطيب، للمحة البدرية، ص٩٦؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٥، دائرة المعارف الإسلامية، ٥٤٣/١ (مادة برشلونة).

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٧.

(٣) سمي الجغرافيون العرب المدينة التي كانت موجودة قبل الإسلام بالتقدمية أو الأزلية، أما التي أنشأها المسلمون بالحدثة.

(٤) عرف هذا القائد باسم آخروهو أميلكار باركا Hamilca Barca، ينظر: لودن، اسبانيا شعبها وأرضها، ص١٩٠.

برشلونة^(١) وقد أقيم بناؤها على موقع مدينة فينيقية قديمة^(٢) ، إذ أسسها الفينيقيون وأطلقوا عليها اسم القائد الفينيقي هاملكاربركة أو ما يعرف هاملكاربركاس^(٣) ، ثم أعطى أغسطس قيصر هذه البلدة لقب مستعمرة رومانية و قيل لها جوليا فافنتيا Joulia Favontia^(٤) ، وتبلغ مساحة هذه المدينة ٧٦٩٠ كيلو متر مربع^(٥).

تعد مدينة برشلونة قاعدة إقليم كتلونية ، وحدود كتلونية جبال البرت Pirineo من الشمال ، وبلاد أراغون Arago من الغرب ، وولاية بلنسية Valencia من الجنوب ، والبحر المتوسط من الشرق^(٦) ، وكان لكتلونية على هذا البحر من السواحل أربعمئة كيلو متر من رأس سريرية Cerbira في الشمال إلى مصب نهر

(١) أرسلان، الحلل السندسية، ٢٠٠/٢ - ٢٠١ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٧ ؛
وقيل أنه ليس لمدينة برسينو صلة باسم القائد هملكار، وإنما هي مدينة
ليتاني Laetani القديمة، التي حلت على التدرج محل مدينة تراكوأي
طركونة الواقعة إلى الجنوب الغربي منها، البهادلي، قطلونيا دراسة في
أحوالها العامة، ص ٢٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، ١/٥٤٣ (مادة برشلونة).

(٢) لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص ١٩٠.

(٣) أرسلان، الحلل السندسية، ٢٠٠/٢ - ٢٠١ ؛ البهادلي، قطلونيا دراسة في
أحوالها العامة، ص ٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ٢/٢٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ٢/٢٥٥.

(٦) المصدر نفسه، ٢/١٩٩ ؛ البهادلي، قطلونيا دراسة في أحوالها العامة، ص ١٩.

سينية Cenia ، وأهم مدنها البحرية روزاس Rosas وكادايس Cadaquis وبالاموس وبرشلونة وطركونة Tarragona وسالو Salou ولوس الفاكيس Los Alfaquis ، وأهم قسم لها من البرت الجبال المسماة بجبل نيغرو Negro وسان غداو Sangrau ومونشارات Montserral وغيرها ، وأهم الأودية المتكونة من هذه الجبال وادي أندور Endorra ، ووادي أنيو Aneo ، ووادي أرون Aron ، ووادي أرو Aro ، ووادي كردونة Cardona ، وأعظم أنهارها نهر الأبرو Ebro ، ثم نهر سيكر Segre ، ثم نهر لوبريقات Liobregat ونهر تير Ter ونهر فلوفية Fluvia^(١).

تقع مدينة برشلونة في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia على البحر المتوسط^(٢) ، وصنفت ضمن إقليم البرتات (البرت) والذي يضم مدينة طرطوشة Tortosa وطركونة وبرشلونة ، وهو أحد الأقاليم الجغرافية الأربعة التي تتكون منها منطقة الثغر الأعلى الأندلسي^(٣) ، إلا أن المقري لم يعد مدينة برشلونة من بلاد الأندلس وإنما حددها ضمن مناطق بلاد غالة Gaulia (الجنوب الفرنسي) ، وجعل جبال البرت كحد فاصل بينها وبين مدينة طركونة الأندلسية بقوله: ((وإن الركن الموفي على بحر الزقاق

١) أرسلان، التحلل السندسية، ١٩٩/٢.

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢؛ القزويني، آثاار البلاد، ص ٥٤٥؛ الحميري، صفة، ص ٤٢ - ٤٣؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٣١.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.

بالمشرق بين برشلونة وطركونة في موضع يعرف بوادي (زلقاطو) وهناك الحاجز الذي يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ذات الألسن الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت الفاصل في الحاجز المذكور^(١).

إلا أننا لا نتفق مع ما ذهب إليه المقري ، فجبال البرت ليس بين مدينتي برشلونة وطركونة ، بل هي إلى الشمال منهما ، وهي الحاجز بين الأندلس وأوربا^(٢).

ويبدو أن الإدريسي أكثر دقة في تحديد موقع مدينة برشلونة بالنسبة لجبال البرت ، فبين أهم الممرات المطلة على هذه المدينة بالقول: ((ويكون امتداد هذا الجبل من مدينة بيونة إلى أرض برشلونة ، وهو جبل عظيم ويسمى جبل البرتات وهو حجز ما بين بلاد الأندلس وبلاد الإفرنجيين وطول هذا الجبل من الشمال إلى الجنوب مع يسير تقويس سبعة أيام ، وهو جبل عال جداً صعب الصعود فيه ، وفيه أربعة أبواب فيها مضائق يدخلها الفارس بعد الفارس وهذه الأبواب عراض لها مسافات وهي مخوفة الطرق وأحد هذه الأبواب الباب الذي في ناحية برشلونة ويسمى برت جاقا...))^(٣) ، ولعل هذا الممر من أهم الطرق البرية التي تربط أوربا بالأندلس ، إذ علق على ذلك أبو الفدا بقوله: ((وليس إلى الأندلس

(١) نضح الطيب، ١/١٢٨.

(٢) ينظر: خارطة الأندلس في آخر الكتاب.

(٣) نزهة المشتاق، ٢/٧٣٠.

طريق في البر إلا من هذا الجبل... ، وطرق هذا الجبل الشرقي من جهة أربونة وبرشلونة وهي أعني برشلونة... ، ومنتهاه البحر المحيط الغربي في غربي جليقية...^(١).

لذلك تعد مدينة برشلونة وأربونة Narbonne من المدن الساحلية المتصلة بالبر عبر هذا الممر ، وقد تحدث الإدريسي عن ذلك بقوله: ((وأما البلاد الساحلية المتصلة بالبر ومنها برشلونة وجرندة وأبنوريش وأربونة وقرقشونة...))^(٢) ، في حين وصف ذلك الزهري بالقول: ((ومما يلي برشلونة على ساحل البحر من المشرق مدينة أربونة وهي آخر ما استفتح المسلمون من بلاد الإفرنج...))^(٣) ، أضف إلى ذلك أن ممر برت جاقة Jaca يمتد من مدينة برشلونة إلى جيرونة (جرندة) Gerona إلى أربونة Narbonne وهو بذلك يعد من أكبر الممرات وأقدمها^(٤).

أما موقع مدينة برشلونة البحري ، فقد بين ذلك مؤلف مجهول عند وصفه بلاد الأندلس بقوله: ((... ، وقد أحاطت بها البحار من كل ناحية ، وهي آخذة في الطول من البحر الغربي من مدينة أشكونبة^(٥) إلى منعرج البحر الجنوبي المحيط عند

(١) تقويم البلدان، ص٤٧.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٨٣/٢ - ٥٨٤.

(٣) كتاب الجغرافية، ص٧٧.

(٤) الحجى، التاريخ الأندلسي ص٩٨.

(٥) مدينة أندلسية تتصل بأحواز مدينة لشبونة، ولها عدة حصون وأقاليم، وأشهر مدنها مدينة شلب، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢.

جِيَان^(١) إلى جبل الزهرة فيما جاوز مدينة طركونة ومدينة برشلونة ،
وهناك باب الأندلس))^(٢).

كما تحدث عنها الزهري بقوله: ((وكذلك على ساحل هذا
البحر من بلاد الإفرنج مدينة برشلونة ، وهي مما استفتح المسلمون
في أول فتح الأندلس ، وهي مدينة لا بالصغيرة ولا بالكبيرة ، وهي
في الحوز الذي يحيط به جبل أطريجرش^(٣) ، وهذا الجبل يفصل بين
بلاد الأندلس وبلاد الإفرنج))^(٤)..

كما حدد المراكشي موقعها بالنسبة للبحر المتوسط بقوله: ((فأول
المدن في الحد الجنوبي المشرقي على ساحل البحر الرومي: مدينة
برشَنونة ، ثم مدينة طَرْكُونَة ، ثم مدينة طَرْطُوشَة ، هذه البلاد التي
على ساحل البحر الرومي المذكور ،...))^(٥).

أما طبيعة سطحها فمتعرج إلا أن سهوله واسعة وخصبة^(٦) ،
وأشهر هضابها هضبة تيبدابو التي تمتد من برشلونة بقدر (١٧٤٥)

(١) مدينة بالأندلس بينها وبين مدينة بياسة ستون ميلاً، وهي كثيرة الخصب،
ينظر: الحميري، صفة، ٧٠ - ٧٢.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٤٤.

(٣) يقصد به جبال البرت، ينظر: المياح، أوربا في كتب البلدانين العرب
المسلمين، ٩٣/١.

(٤) كتاب الجغرافية، ص ٧٧.

(٥) المعجب، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٦) أرسلان، التحلل السندسية، ٢٠٠/٢؛ البهادلي، قطلونيا دراسة في أحوالها
العامة، ص ٢٩.

قدم من البحر إلى الهضبة وقد صبغها البحر بجميع مميزاته المناخية والنباتية^(١) ، كما أن معظم الساحل الشرقي الممتد من جبل طارق جنوباً إلى كتلونية شمالاً يتميز بكونه بؤرة زلزال ، وأثار ذلك واضحة في الشقوق الهائلة التي تتخلله وأعظمها الشق الذي ينحدر منه نهر أبرو إلى البحر تاركاً تأثيرات وهزات أرضية أمتد تأثيرها إلى برشلونة وجيرونة^(٢) .

ولكونها من المدن الساحلية المظلة على البحر المتوسط ، فقد امتاز مناخ كتلونية وشرقي الأندلس عامة بالاعتدال ، وسطوع الشمس وبظروف جوية صافية مشرقة^(٣) ، وأمطارها تتركز تركزاً واضحاً في فصلي الخريف والشتاء ، والمجموع السنوي للأمطار هو أقل في المعدل مما يسقط على سواحل الأندلس الغربية^(٤) ، ومناخها هو مناخ البحر المتوسط دافئ إلى حار صيفاً ومعتدل شتاءً ، ونادراً ما تسقط الثلوج في المنخفضات ولكنها قد تتراكم بكميات كبيرة على الجبال المجاورة ، والموسم الخالي من الصقيع طويل جداً وقد يمتد إلى مدة سنة كاملة تقريباً في بعض السهول^(٥) .

(١) البهادلي، قطلونيا دراسة في أحوالها العامة، ص ٢٩ .

(٢) أرسلان، التحلل السندسية، ٣٠/١ - ٣١ : البهادلي، قطلونيا دراسة في أحوالها العامة، ص ٣٣ .

(٣) كولان، الأندلس، ص ٦٥ .

(٤) البهادلي، قطلونيا دراسة في أحوالها العامة، ص ٣٤ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣ .

أما الرياح الهابة على سواحل بلاد الأندلس بشكل عام فقد وصفها المقري بالقول: ((...، فالشرقي منهما يطر بالريح الشرقية، ويصلح عليها، والغربي يطر بالريح الغربية وبها صلاحه، وجباله هابطةً إلى الغرب جبلاً بعد جبل، وإنما قسمته الأوائل جزأين لاختلافهما في حال أمطارهما، وذلك أنه مهما استحكمت الريح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي وقحط الأندلس الشرقي، ومتى استحكمت الريح الشرقية مطر الأندلس الشرقي وقحط الغربية^(١)))، ويصف الرحالة ابن جبير الأندلسي ربح السواحل الشرقية المقابلة لبر برشلونة بقوله: ((...أهب الله علينا ريحا شرقية أقلعنا بها، وهي لينة رخاء، إلى أن استشرت فعاتت ريحا شديدة جرى بها المركب أقوى جري وأعدله، وما زلنا منذ ركبنا البحر نتنسم هذا الأفق الشرقي شوقا إلى ريحه فلا يهب منه نسيم حتى خلناه لعدمه عنقاء مغرباً، إلى أن تداركنا الله بلطفه وجميل صنعه فأجراه لنا الآن في شهر نيسان، عرفنا الله السلامة بمنه وكرمه، وصحبتنا هذه الريح الشرقية نحو يومين سرنا فيهما سيرا حثيثا، وتركنا جزيرة سردانية عن يميننا، ثم تلاعبت بنا الرياح المختلفة فأقمنا بها نضرب البحر طولاً وعرضاً ولا يتراعى لنا بر حتى ساءت ظنون وتوهمنا إسقاط الرياح لنا إلى جهة بر برشلونة...))^(٢).

وعلى الرغم من أن مدينة برشلونة تقع على ساحل البحر، إلا

(١) نضح الطيب، ١/١٣٢.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٨٣.

أن مرساها ترش^(١) ، لا تدخله المراكب إلا عن خبرة ، والدخول إليها والخروج عنها إلى بلاد الأندلس عن طريق باب في جبل البرت يسمى هيكل الزهرة^(٢) ، ولعل كثرة الصخور في مرسى هذه المدينة تعد من العراقيل التي تقف أمام سير السفن ، ولهذا كانت تتخذ الحيفة والحذر عند مسيرها.

عدت مدينة برشلونة من قواعد المدن المهمة في الأندلس ذكرها مؤلف مجهول قائلاً: ((...الأندلس شامية ، وهي بلد كريم البقعة ،... ، وبها من قواعد المدن أربعون قاعدة ، فأول قواعدها مدينة قرطبة ثم طليطلة ثم سرقسطة ثم إشبيلية ثم ماردة ثم أربونة ثم لاردة ثم بطليوس ثم شلب ثم شنترين ثم أشبونة ثم برتقال ثم تستر ثم بلغى ثم شاطبة ثم بنسية ثم دانية ثم وشقة ثم أستورة ثم أفراغه ثم طرطوشة ثم مكناسة ثم بجاية ثم أندرة ثم المرية ثم غرناطة ثم جيآن ثم أستجة ثم لبله ثم الخضراء ثم مالقة ثم قرطاجنة ثم برجلونة ثم بيونة ثم قشتيلية ثم جليقية ثم شلمنكة ثم طييرة ثم تطيلة...))^(٣).

كما أن مدينة برشلونة تعد من المناطق الثغرية ، إذ كانت الثغور تشكل خطأً منحنيًا ماراً بالقسم الشمالي من الأندلس من الشرق إلى الغرب ، يبتدئ من جنوبي برشلونة ويمتد شمالاً بغرب ، وذلك من عند برشتر Barbastor ووشقة Huesca ثم يتصل

(١) يقصد به كثير الصخور التي لا يكاد يسترها الماء، ينظر: حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٤٧.
(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢.
(٣) تاريخ الأندلس، ص ٤٤ - ٤٥.

بوادي أبره شمالي تطيلة Tudela ، ثم يصعد من هذا الوادي إلى هارو ، ثم يعود فينحني صوب الجنوب تابعاً مجرى الوادي الجوفي - أي دويرة Rio Elduero - إلى المحيط الأطلسي^(١).

وقد وضع البكري مدينة برشلونة في الجزء الثالث ، إذ قسم الأندلس إلى ست ولايات ، والجزء الثالث يشمل إضافة إلى برشلونة ، مدينة طركونة وسرقسطة Saragosa ووشقة Hues ولاردة Lerida وطرطوشة وتطيلة Tudela وأعمال بلد ابن شانجو كلها وبلد بليارش Pallars وجرندة Gerona ومدينة أبنوريش Apenones ومدينة بنبلونة Pamplona ومدينة أوقة ومدينة قلهرة Calahorra ومدينة طرسونة Tarazona ومدينة أمية Amaye^(٢).

تبعد مدينة برشلونة عن مدينة طركونة خمسين ميلاً ، إذ تقع الأخيرة في جنوبها^(٣) ، وإلى الشمال منها تقع مدينة بردال Bordeaux (بورديو) الفرنسية^(٤) ، كما تبعد عن مدينة قرقشونة Carcassonne أربعة أيام شمالاً^(٥) ، وإلى الغرب من برشلونة تقع مدينة لاردة على مسافة نحو مائة وخمسين كيلو متر منها ، وتفصل بينهما منطقة تغلب عليها الوعورة ، وتكثر فيها الجبال العالية^(٦) ،

(١) أرسلان، الحلل السندسية، ٤١/١.

(٢) جغرافية الأندلس وأوربا، ٨٩٢/٢.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢؛ الحميري، صفة، ص ٤٢.

(٤) ابن سعيد، كتاب الجغرافية، ص ١٨١.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢.

(٦) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٤؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٢٧٢/٢.

كذلك يجدها من الشمال الشرقي مدينة جيرونة^(١) ، كما أن برشلونة تقابل جزيرة منورقة Monorac ويفصل بينهما مجرى^(٢) ، وتقابل من جهة عدوة المغرب الأوسط مدينة بجاية وبينهما أربعة مجارٍ في عرض البحر ، والمجرى هو مائة ميل^(٣) .

كما تمتعت مدينة برشلونة نفسها برضاها ومناعة سورها ، فقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((... ، وهي مدينة لها رضى وسور منيع...))^(٤) ، ومن أرباضها رضى سنس Sans ، وغراسية Gracia وسان أندري بالومار Palomar وسان مرتين بروفنسال Provensal^(٥) . كما ذكرت المصادر العديد من الحصون التابعة لمدينة برشلونة ، منها حصن طراجة^(٦) ، وحصن أور Laroles^(٧) ، وحصن الدالية Dalias ومولشر^(٨) ، وحصن ممقصر Monmagastre^(٩) ، وحصون بليارش^(١٠) .

-
- (١) أرسلان، الحلل السندسية، ٢/٢٧٢.
 - (٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٨٢؛ الحميري، صفة، ١٨٥.
 - (٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٨٢.
 - (٤) المصدر نفسه، ٢/٧٣٤.
 - (٥) أرسلان، الحلل السندسية، ٢/٢٧٢.
 - (٦) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٩٥ - ٩٦.
 - (٧) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠/هـ - ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٤٩.
 - (٨) مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٧.
 - (٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٤.
 - (١٠) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠/هـ - ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٦٣.

ثانياً: ثروتها الاقتصادية وطبيعتها الاجتماعية

إن موقع المدينة البحري وإحاطتها بالجبال العالية جعل بعض الأنهار تمر بأراضيها ، إذ ضمت منطقة الثغر الأعلى حوض نهر الأبرو Ebro وعدة أنهار أخرى أصغر منه تنحدر نحو الشرق والجنوب الشرقي وتصب في البحر المتوسط^(١) ، ومن أشهرها وادي نهر لوبريقات Liobregat الذي تقع شمال مصبه مدينة برشلونة والذي يسقي مزارع المدينة^(٢) ، كما أن حوض نهر الأبرو يمثل منخفضاً تفصله عن سواحل البحر المتوسط تلال قطلونية ، وبين هذه التلال وساحل البحر شريط ساحلي تقع فيه مدن طرطوشة وبرشلونة وطركونة التي تعد من أهم مدن الثغر الأعلى البحرية ، ويفصل هذا المنخفض عن بلاد الإفرنجية جبال البرت التي تعد الحاجز الطبيعي الذي يفصل الأندلس عن أوروبا^(٣).

إن وفرة مياه نهر الأبرو وروافده ساعد على قيام الزراعة في منطقة

(١) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٤.

(٢) أرسلان، التحلل السندسية، ٢/٢٥٥؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٥.

(٣) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٥ - ٤٦.

الشجر الأعلى ومنها مدينة برشلونة ، إذ اشتهرت بإنتاج الحبوب وبخاصة الحنطة بالإضافة إلى كثرة العسل فيها^(١) ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((...وبرشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل))^(٢).

وتكثر في المنطقة المحصورة بين مدينتي برشلونة ولاردة الأشجار ويساتين الفاكهة ، وتتخللها البساتين من آن لآخر ، وخاصة الزروع والكروم^(٣) ، وقد تحدث ابن سعيد عن بساتين مدينة برشلونة بالقول: ((... ، ولها مياه وبساتين ،...))^(٤).

كما أن المنطقة الواقعة بين مدينتي برشلونة وطركونة مما يلي شاطئ البحر تعد من أجمل المناطق الأندلسية ، إذ تغلب عليها الخضرة ، وتكثر فيها الحدائق اليبانة ، وكثير من نواحيها يقصدها الناس للاصطياف والتنزه ، وعلى الرغم من وجود التلال الآكام على جانبيها ، لكنها تبدو أيضاً في معظمها خضراء تغطيها أشجار الزيتون ، وتكثر فيها حدائق الكروم الأرضية^(٥).

ولعل هذا السبب الذي جعل حكام الأندلس يأخذون منها

(١) الحميري، صفة، ص ٤٢.

(٢) نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢.

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٤.

(٤) كتاب الجغرافية، ص ١٨١.

(٥) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٧ ؛ لودر، أسبانيا شعبها وأرضها،

ص ٢٣ - ٢٤.

العشر ، وبين ذلك الحميري عندما تحدث عن مدينة طرسونة بالقول: ((طرسونة ، بالأندلس كانت مستقر العمال والقواد بالثغور ، وكان أبو عثمان عبيد الله بن عثمان^(١) المعروف بصاحب الأرض اختارها محلاً وأثرها على مدن الثغور منزلاً ، وكانت ترد عليه عشر مدينة أربونة وبرشلونة ،...))^(٢)

كما تحدثت المصادر عن وجود المعادن في مدينة برشلونة ، وخاصة الحديد ، فقد أشار الزهري إلى أن معدن الحديد يوجد في جبال البرت ((وفي هذا الموضع البرت المسمى برت ياقه(جاقة) بإزاء مدينة برشلونة ، ومنها يجلب الحديد المسمى بالشلق ، وهو حديد أسود تعمل منه آلة الحرب...))^(٣) ، وبالتحديد يوجد هذا النوع من الحديد في مدينة برزال التي تقع شمال مدينة برشلونة ، إذ تنسب إليها السيوف البردالية المشهورة بالجودة^(٤) ، كما أشار البكري إلى

(١) هو أبو عثمان عبيد الله بن عثمان المعروف بصاحب الأرض، لأنه كانت ترد عليه أعشار برشلونة وأربونة، لذلك أطلق عليه هذا اللقب، أي الأرض الكبيرة، والمقصود بها بلاد الإفرنجية، دخل الأندلس في طاعة بلج القشيري، وكان له دور كبير في تمهيد الأمر لعبد الرحمن الأول، توفي في مدينة وشقة سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٧ - ٤٩ ؛ ابن حيان، المقتبس (للعقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٢٢٢.

(٢) صفة، ص ١٢٣.

(٣) كتاب الجغرافية، ص ١٠٤.

(٤) ابن سعيد، كتاب الجغرافية، ص ١٨١.

كثرة وجوده في الأندلس^(١).

ومن المعادن الأخرى التي توجد في مدينة برشلونة هو حجر اللؤلؤ إلا أنه جامد اللون^(٢)، كما يوجد فيها حجر الطلق^(٣)، وهو معدن أبيض ناعم اللمس يستخدم في صناعة مسحوق الطلق (أي الصابون) وهو من الأحجار الرخوة^(٤).

أما بالنسبة إلى الصناعة، فكانت مزدهرة في مدينة برشلونة بشكل واسع، ومنها معامل القطن الذي ينسج منه الصوف والحريز، وسائر أنواع المنسوجات، كذلك عمل الورق والصابون والزجاج والسلاح وغير ذلك، وبسبب ازدهار الصناعة نجد أن تجارة برشلونة هي أوسع تجارة من أي مدينة في الأندلس، بل أنها تعد من كبريات المدن التجارية في العالم آنذاك^(٥).

كما أشار ابن حوقل إلى الرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به هذه المدينة والمدن الأندلسية الأخرى المطلة على البحر المتوسط في عهد الأمويين مثل الجزيرة الخضراء Algeciras والمريّة Almeria وبلنسية وطرطوشة وغيرها بقوله: ((وجميع ما ذكرته من المدن على البحر فمدن كبار عامرة مشحونة بالمرافق التي يفتخر بها أهل

(١) المسالك والممالك، ٢/٨٩٧.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ٢/٨٩٧؛ المقري، نفع الطيب، ١/١٤٢.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ٢/٨٩٧؛ أرسلان، التحلل السنديسية، ١/١٨١.

(٤) الجوهري، الصحاح، ١/٢٣٦.

(٥) أرسلان، التحلل السنديسية، ٢/٢٠٠، ٢٧٢.

النواحي في بلادهم ومنابرهم ، ولم تزل الأندلس في أيدي بني مروان إلى هذه الغاية^(١).

فقد كان التجار المسلمون واليهود يذهبون إلى مدينة براغ^(٢) لشراء الرقيق والقصدير والفراء ثم يعودون عن طريق نهر الرون وبرشلونة إلى بجانة Pechina ، حيث يخصى الرقيق ويباعون كخصيان بسعر مرتفع في الأندلس ، وكان البحر هو الطريق العادي لهذه الرحلة ، وكانت هذه التجارة قد بدأت منذ منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي^(٣).

وقد علق أحد الباحثين على ذلك بقوله : وقد ظلت أسبانيا المسيحية مدة خمسة قرون محصورة في دائرة الإسلام الاقتصادية ، فكانت التجارة احتكاراً في أيدي المسلمين واليهود وظلت الممالك المسيحية في أسبانيا لا تستعمل إلا النقود العربية والفرنسية طوال أربعة قرون تقريباً^(٤).

وخلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، نشطت

(١) صورة الأرض، ١/١٠٩.

(٢) براغ قال عنها بنيامين التطيلي: ((...في أقصى حدود ألمانيا، ووراء هذه الحدود تقع بوهمية حيث مدينة براغ وتسمى تلك البلاد صقلبونية، وأهلها يبيعون أولادهم للخدمة في مختلف الأمم والشعوب))، رحلة بنيامين التطيلي، ص ٣٦٤.

(٣) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٤) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص ٣٦٢.

التجارة البحرية لمدينة برشلونة ، وبخاصة خلال المدة ما بين عامي ٤٤٦ - ٤٦٧ هـ / ١٠٥٤ - ١٠٧٤ م ، وهو ما دعا إلى وضع قانون بحري لها^(١) ، كما أخذت الحياة الاقتصادية بالانتعاش في حدود سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م على الشواطئ الممتدة بين برشلونة ومصب نهر التير ، وربطت التجارة العابرة لهذا الإقليم نحو الشمال كلاً من فرنسا وبلجيكا وإنجلترا ربطاً محكماً بالبحر المتوسط ، وأصبح الغرب العامل التجاري الفعال ، وبدأ مسلمو الأندلس وشمال إفريقية يخضعون للنفوذ الاقتصادي الأوربي الغربي^(٢) ، كما أصبحت الدولة المرابطية Almoravides, Los^(٣) شريكاً تجارياً مهماً مع النصارى ، إذ ازدهرت التجارة بين الدولة المرابطية وسائر بلاد أوربا اللاتينية في الغرب ، وبخاصة بعد سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، فكانت العملة التي سكت وقتذاك في برشلونة ومنبليه هي العملة المعروفة باسم (الدينار

(١) أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ٣٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.

(٣) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة البربرية، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت دعوة المرابطين سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وتزعمت قبيلة لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك على يد يوسف بن تاشفين واستمرت دولتهم حتى سقوطها بيد الموحدين سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١ - ٢٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤ - ١١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢ - ١٢٧.

المرابطي المنقوش) ، لتدل على قيام تجارة نشطة بين تلك الجهات وبين مسلمي الأندلس وشمال إفريقية^(١).

وازدهرت تجارة مدن غرب أوروبا مثل برشلونة ومرسيليا ، بالإضافة إلى المدن الإيطالية الأخرى أثناء الحروب الصليبية ، إذ أدت هذه الحروب إلى تشجيع النشاط التجاري بين الشرق والغرب ، فاستغلت المدن الأوربية هذه الحروب في احتكار أحياء تجارية بأكملها في موانئ الشام ومدنها واتخذتها قواعد لمباشرة نشاطها التجاري ، ولا شك أن هذه الثروة التي تدفقت إلى المدن الأوربية ساعدت على تقدم أساليب التجارة والمحاسبة وصك الدفاتر والأعمال المصرفية ، وهي النواحي المرتبطة بالنشاط التجاري^(٢).

ومن الناحية الاجتماعية ساعدت الحروب الصليبية على ظهور طبقات جديدة في المجتمع الأوربي نتيجة لتناقص الأقتان وازدياد نفوذ البرجوازية وظهور نفوذ المدن ، أضف إلى ذلك أن الثروة التي تدفقت إلى غرب أوروبا ومنها مدينة برشلونة كان لها أثر في زيادة السكان وتطور الحياة ، ولاسيما في المدن ، إذ ظهر الاتجاه نحو الترف والتنعم ، فأخذ الأوربيون مثلاً يحاكون الشرقيين في شغفهم بالاستحمام وعنايتهم بالحمامات ، كذلك يرجح أن أوروبا عرفت عن

(١) أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ٣٨٧ ؛

السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٤١٦.

(٢) عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ٤٦٣/١.

طريق الحروب الصليبية حاصلات جديدة لم تسبق معرفتها^(١).
أما من الناحية الثقافية فإن الحروب الصليبية سواء كانت في الشرق الإسلامي أم في الغرب الإسلامي ساعدت مدن غرب أوروبا على معرفة الكثير من علوم العرب ، فضلاً عن معارف اليونان التي ترجمها العرب إلى لغتهم^(٢) ، وكان الأدب الكتلوني آنذاك يضارع آداب الدول الأوروبية الأخرى ، وكان يشمل روائع الشعر وقصص الفروسية والمؤلفات التاريخية^(٣).

أما لغة أهل برشلونة فهي اللغة الكتلونية ، وهذه اللغة ترجع جذورها إلى اللغة اللاتينية حالها حال اللغات الأخرى الموجودة في الأندلس كاللغة القشتالية والبرتغالية وغيرها ، وبذلك تعد اللغة اللاتينية هي اللغة الأم ، إلا أن لغة أهل مدينة برشلونة تميزت عن غيرها كونها أقرب إلى اللغة البروفنسية Provençai وهي لغة بلاد الغال (الجنوب الفرنسي)^(٤) ، وحتى تسمية مقاطعته بكتلونية هي تسمية أطلقها الإفرنجية (الفرنسيون) في العصور الوسطى ومعناها (أرض القلاع)^(٥) ، أي أن دلالتها مشتق من اسم قلعة^(٦) ، وربما هذا

(١) عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص٤٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦٤.

(٣) لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص٩٤.

(٤) أرسلان، التحلل السنديسية، ١٩٩/٢، ٢٢٢.

(٥) لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص٢٣.

(٦) كحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ص٤٩.

التشابه في اللغة بين برشلونة وبيروفانس يعود إلى الاختلاط المتبادل بين أهالي المدينتين ، وذلك لقرب برشلونة من الجنوب الفرنسي ، أضف إلى ذلك أن مدينة برشلونة تقع على البحر مما يسهل عملية التجارة مع بقية المناطق مما يسهل تأثر سكانها مع من يتعاملون معهم تجارياً ، ومما يرجح ذلك أن اللغة الكتالونية هي أداة التفاهم عند معظم المدن البحرية في منطقة حوض البحر المتوسط^(١) ، أضف إلى ذلك أن الأسباب كانوا توافقون للغة الكتالونية لما تشيره من المشاعر الوطنية في نفوسهم^(٢).

فالتشابه كثير بين اللغة الكتالونية واللغة البروفنسية وبخاصة في تركيب الجمل ، فمن خصائص الكتالونية أن يقع فيها تبديل حرف بحرف ، فيجعلون بدلاً من حرف E حرف I أو حرف O أو حرف U ، كذلك هم يجعلون دائماً حرف X بدلاً من حرف S ، وإذا كان اسم أو نعت باللغة البروفنسية منتهياً بأحرف An أو En أو In أو Im فالكتالوني يضيف إلى هذا الاسم أو هذا النعت حرف Y فإذا جاء في البروفنسي لفظة Engin مثلاً جعلوها في الكتالوني Enginy ، وعلامة التأنيث في النعوت هي في الكتالوني حرف A كما هي في البروفنسي ، ولكن ليس ذلك مطرداً ، فقد يقولون Fort في مقام التأنيث بدلاً من أن يقولوا Forta ، وميزة هذه اللغة هي الاختصار والنحت ، فهي لا تعرف تغيير أواخر الكلم بحسب

(١) أرسلان، التحلل السنديسية، ١٩٩/٢، ٢٢٢.

(٢) ثودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص٣٩.

مواقعها من الإعراب ، بل تقتصر على أصل الكلمة ، وربما تحذف بعض أحرف من أواسطها ، فنجد فيها مثلاً لفظة **Vino** منحوتة بلفظة **Vi** ولفظة **Bono** منحوتة بلفظة **Bo** ، ولذلك تمتاز هذه اللغة بالشدة والجزم وقوة المقاطع ، وهي في هذا كاللغة التركية ، ومن مزاياها أيضاً كثرة الألفاظ المحاكية للأصوات ، وهي التي قبيل الصقطة ، والهمهمة ، والغمغمة ، والدمدمة ، وخرير الماء ، وفحيح الحية وما أشبه ذلك في العربية فهذا الضرب من الكلام في هذه اللغة ، وإذا انتهت فيها الكلمة بحرف صائت حذفوه وتلفظوا بها بصورة الجزم^(١).

أما صفات سكان كتلونية ومنهم أهالي برشلونة ، فهم يتميزون بوسامة وجوههم ، ووفرة نشاطهم ، وتذمرهم الدائم من الحكومة^(٢) ، إذ يبغض الكتالونيون التسلط المركزي في الحكم^(٣) ، كما أن أهالي كتلونية يتميزون عن غيرهم بطول القامة وقوة العظام وثقل الوزن ، وربما كان السبب في ذلك أن غذاءهم أوفر من غذاء بقية المناطق الواقعة في الشمال الأسباني ، حيث أن الأرض فقيرة وقليلة الإنتاج في تلك المناطق^(٤).

أما بالنسبة لموضع مدينة برشلونة ، فينقسم إلى ثلاثة أقسام ،

(١) أرسلان، التحلل السنديية، ٢/٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص٢٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٨ .

الأول يعرف باسم برشلونة الأصلية وهي التي تقع على سيف البحر ، والثاني يعرف باسم برشلونة المحدثّة في القرون الوسطى وهي التي تتألف منها المدينة العظمى اليوم ، والقسم الثالث وهي التي أحدثت مؤخراً ، واتصلت بالضواحي والقرى ، وقد كان كثير من القرى منفصلاً عن المدينة فاتصل بها باشتباك العمارة^(١).

تميزت مدينة برشلونة بإتقان مبانيها وكبر شوارعها ، إذ يطلق على الشارع في برشلونة وجميع بلاد كتلونية اسم (رملة Rambla) وهي لفظة عربية ، ورملات برشلونة موصوفة بسعتها وانتظامها^(٢).
وبما أن مدينة برشلونة هي قاعدة مقاطعة كتلونية ، فيوجد فيها مركز القائد العام والوالي المدني ، وفيها أيضاً كرسي رئيس أساقفة ، وفيها مدرسة جامعة^(٣).

كما شكل اليهود طبقة أخرى من طبقات المجتمع في شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح الإسلامي لها ، إذ كانوا ينتشرون في كثير من المناطق وبشكل خاص في طليطلة وغرناطة وإليسانة Lucena وبيانة Baena ، وعلى سواحل البحر المتوسط^(٤) ، وقد أشار البكري إلى

(١) أرسلان، الحلل السندسية، ٢٧٢/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢٧٤/٢ ؛ لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص٢٢ - ٢٣.

(٣) أرسلان، الحلل السندسية ، ٢٧٢/٢.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن تواجد اليهود في هذه المناطق، ينظر : مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢ - ١٦ ؛ الحميري، صفة، ص١٣٤ ؛ الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، ص٤٩ - ٥١ ؛ مصطفى، المدن في الإسلام، ٣٢٥/٢.

يهود برشلونة بقوله: ((... ، واليهود بها يعدلون النصارى كثرة...))^(١) ، واستمر وجودهم فيها إلى ما بعد الفتح الإسلامي وسقوطها بيد النصارى ، فقد عُثِرَ على مراسلات متبادلة بين يهود برشلونة وأخبار يهود العراق تعود إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي^(٢) ، وعندما زارها الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م قال عنها: ((وفيها طائفة من اليهود وجماعة من العلماء والحكماء والرؤساء الكبار. منهم الرابيون ششت وشئالتيال وسليمان بن إبراهيم بن حسداي...))^(٣) ، وفي الاتجاه الجنوبي الشرقي منها شارع (Del Call) أي شارع الطائفة ، وكان هذا الشارع في أواخر القرون الوسطى هو الشارع الرئيس للحي اليهودي المسمى (Cal Mayor)^(٤).

وفي حديثه عن مدينة برشلونة أشار البكري إلى يهود برشلونة وتآمرهم مع حاكمها بقوله: ((وصاحب برشلونة اليوم رأي مند بن بلنكير بن بريل ، وكان خرج يريد بيت المقدس سنة ست وأربعين وأربعمائة فنزل مدينة نربونة على رجل من كبراء أهلها ، فتعشّق امرأته وتعشّقته ، ثمّ تمادى في سفره حتّى وصل بيت المقدس ، ثمّ كرّ راجعا حتّى أتى نربونة فنزل على ضيفه بها ، وليس له همّ إلّا امرأته ، فتحكّم ذلك التعاشق بينهما واتّفق معها على أن تعمل الحيلة في

(١) المسالك والممالك، ٩١١/٢.

(٢) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ٤٩.

(٣) رحلة بنيامين، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٤) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ٥١.

الهروب إليه من بلدها فيزوجها من نفسه ، فلما وصل إلى برشلونة أرسل إليها قوماً من اليهود في ذلك ، ودخل صاحب طرطوشة في الأمر فأوصلهم في الشواني إلى نربونة ، فلم تتوجه اليهود الحيلة في أمرها وأحس زوجها ببعض شأنها وكان بها كلفا ، فتثقفها فكان تثقيفه لها سببا لمعونة أهلها على مرادها ، فوصلت مع قوم منهم إلى برشلونة ، فنزل رأي مند عن امرأته وتزوج النربونية ، فلبست الأولى المسوح وخرجت مع جماعة من أهل بيتها إلى رومة حتى أتت عظيمها وصاحب الدين بها ، وهو الذي يسمونه البابا ، فشكت إليه ما صنع زوجها وأنه تركها بغير سبب ، وهو أمر لا يحل في دينهم ، وأنه لا يجوز لهم فعله ، وإنما حملة على ذلك عشقه للنربونية ، وشهد لها شهود قبلهم ، فحرم البابا على صاحب برشلونة دخول الكنائس وأمر ألا يدفن له ميت وأن يتبرأ منه جميع من يعتقد النصرانية ، فلما علم ذلك علم أنه لا حيلة له معه ولا بقاء في أفق يكون فيه لنصراني حكم ، فبذل الأموال ودس مشاهير الأساقفة والقسيسين وأوطأهم على الشخصوخ إلى البابا وأن يشهدوا له بأنه تقصى عن نسب المرأة التي ترك فوجدها منه بقربى يجرمها عليه ، وأن النربونية فرت من زوجها لذلك لأنه كانت منه بنسب وكان يكرهها على المقام معه ، فنفذ القوم إلى البابا وشهدوا للقومس ما أوطأهم عليه ، فقبلهم وأباح له دخول الكنائس ودفن من مات له وسائر ما حجر عليه^(١) ، وعلى الرغم مما

(١) المسالك والممالك، ٢/٩١١.

تحمله القصة من الغرابة فإنها تعكس لنا دور اليهود في المدينة ونفوذهم فيها.

ولليهود في مدينة برشلونة مقبرة تقع في جنوب المدينة ، على منحدرات الجبل الذي ما يزال إلى الآن يُدعى جبل اليهود ، فضلاً عن العديد من شواهد القبور التي تحملُ كتابات من أواخر القرون الوسطى تمَّ العثور عليها في برشلونة ، منها شاهد عليه نقوش وكتابات تعود وفقاً لرأي الخبراء إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وهو ما يؤشر أنَّ الطائفة اليهودية قد تواجدت في برشلونة خلال الحكم الإسلامي لها^(١).

كما تمتعت مدينة برشلونة بمجموعة كبيرة من الآثار القديمة ، منها مكان المسجد الجامع الذي بُني على آثار هيكل روماني قديم ، فيما بُنيت كنيسة برشلونة الكبرى على آثار المسجد الجامع سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م ، ويُقال إن فيها عظام القديسة (اولاليه) مدفونة تحت المذبح الأعظم ، تتقد فوق قبرها الشموع ليلاً ونهاراً ، وهذه القديسة - حسب معتقداتهم - هي شفيعة برشلونة ، ولها عند أهل برشلونة مزيد الحرمة^(٢).

ومن الآثار الأخرى قصر أقماط برشلونة الذين كانوا في الأصل عمالاً للإمبراطور شارلمان^(٣) وأولاده على برشلونة ، ثم استقلوا عنهم

(١) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ٥١.

(٢) أرسلان، التحلل السندسية، ٢٧٤/٢.

(٣) يطلق عليه شارل الأول أو شارل الكبير، وهو ملك بلاد الإفرنجة للمدة=

ولبثوا أكثر من قرن ونصف أمراء عليها لا يخضعون لأحد إلا لأمراء قرطبة بالصورة الظاهرة إذ خافوا عاديتهم^(١).

ويوجد في متحف المدينة خزانة كتب نفيسة ، ووثائق تاريخية ، ومصوغات ، فضلاً عن أنواع الخزف والنسيج والزجاج والسلاح والمسكوكات وغيرها^(٢) ، وذكر لودر أن أعمال التنقيب كشفت في كتلونية وعلى طول سواحل البحر المتوسط عن آثار الماضي كالزهريات الأيبيرية ، والمقابر الفينيقية ، والنقود الأغربيقية والرومانية والقوطية ، والآنية الأغربيقية والفسيفساء الروماني^(٣) ، كما يوجد بعض الأعمدة باقية في كنيسة سان بابلو دي كامبو في برشلونة تعود إلى العهد القوطي^(٤) ، وهذا يدل على الطراز المعماري الذي وصلت إليه المدينة. ومن الكنائس القديمة الموجودة في برشلونة كنيسة سان بتره في القسم القديم من المدينة يرجع تاريخ بنائها إلى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م^(٥).

= (١٥١ - ١٩٩ هـ / ٧٦٨ - ٨٤١ م) وهو أكبر أبناء ببين القصير وحفيد شارل مارتل اقتسم مع أخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة أبيه، وعندما تولى كارلومان سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م تودي به ملكاً على جميع بلاد الإفرنجية، ينظر: عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ٢٠٠/١ - ٢١٣.

(١) أرسلان، التحلل السندسية، ٢٧٦/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢٧٨/٢.

(٣) أسبانيا شعبها وأرضها، ص ٢٣.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٠.

(٥) أرسلان، التحلل السندسية، ٢٧٨/٢.

الفصل الثاني

مدينة برشلونة تحت الحكم الإسلامي
(٩٤-١٨٥هـ / ٧١٢-٨٠١م)

أولاً: مرحلة الفتح

ثانياً: برشلونة في عصر الولاة

ثالثاً: برشلونة في عهد الإمارة ١٣٨ - ١٨٥هـ / ٧٥٥ - ٨٠١م)

رابعاً: سقوط مدينة برشلونة سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م

أولاً: مرحلة الفتح

مرت مدينة برشلونة بعدة حقبة من التسلط الخارجي ، ابتدأت بالفينيقيين الذين انتشروا في منطقة كتلونية كلها ، ومن ثم جاء اليونانيون فزاحموا الفينيقيين ، وتمكنوا من إنشاء مستعمرات على شواطئ البحر المتوسط ، لاسيما في مدينة برشلونة ، وعندما عظمت دولة قرطاجنة Cartagena جاء القرطاجنيون في القرن الثالث قبل الميلاد وأزاحوا اليونانيين واستطاعوا فرض سيطرتهم على مدينة برشلونة والمناطق الأخرى المنصوية ضمن إقليم كتلونية^(١).

ولما كان الرومان حلفاء لليونانيين ، لم تلبث أن نشبت الحرب بينهم وبين القرطاجنيين ، إذ أرسل الرومان سنة ٢١٨ قبل الميلاد القائد سيبون Scipion وأتباعه بأسطول إلى مياه امبوريون ثم إلى طركونة ، ودارت الحرب بينهم وبين القرطاجنيين فانهم سيبون وأتباعه ، ثم عاد الرومان وحشدوا في مدينة طركونة وقاتلوا القرطاجنيين وتمكنوا من أخذ ثأرهم ، وصارت هذه المدينة قاعدة

(١) أرسلان، التحلل السنديسية، ٢/٢٠٠؛ هيكل، الأدب الأندلسي، ص ٢٨ - ٢٩.

للرومان ومنها انتشروا في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وأصبحت مدن برشلونة وروزاس وامبوريون وجيرونه وطرطوشة ولاردة وغيرها من مدن الشمال الشرقي تحت الحكم الروماني^(١).

ويبدو أن مدينة برشلونة أصبحت فيما بعد خاضعة لحكم قبائل الوندال الذين دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية منذ سنة ٤٠٩ م مع بقية القبائل الجرمانية الأخرى مثل الألان والسويف ، وقد اقتسمت هذه القبائل الغازية شبه الجزيرة فيما بينها سنة ٤١١م ، فاستقر السويف وقسم من الوندال في الأطراف الشمالية الغربية من منطقة جليقية Galicia وأستوريس Asturias ، أما الألان فقد أقاموا في منطقة لشدانية Lusitanina (البرتغال حالياً) ، وأقام القسم الأعظم من الوندال في إقليم باطقة وجزء من شرق شبه الجزيرة الأيبيرية لاسيما في مدينة برشلونة ، إلا أنها لم تستمر طويلاً تحت حكمهم إذ سرعان ما ظهر على المسرح السياسي زعيم من القوط الغربيين Visigoths يعرف باسم أطاوولف وتمكن من انتزاع برشلونة من الوندال سنة ٤١٤ م واتخذها مقراً له ، ومنها أخذ يتوغل في قلب شبه الجزيرة ، بينما ارتدّ الوندال إلى الجنوب ، وبقيت برشلونة تحت حكم القوط الغربيين حتى الفتح الإسلامي^(٢).

(١) أرسلان، التحلل السنديّة، ٢٠١/٢.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٥٣ ؛ أرسلان، التحلل السنديّة، ٢٨٠/٢ ؛ هيكل الأدب الأندلسي، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص ٣٥.

ابتدأ الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢هـ/٧١٠م^(١) بقيادة القائد طارق بن زياد الذي تمكن من فتح المناطق الجنوبية والوسطى من البلاد وتوقف قليلاً عند طليطلة Toledo إذ لحق به موسى بن نصير، وكان دخول الأخير لتدعيم الفتح الذي قام به طارق ثم استكمال فتح بقية المناطق، وفي بداية سنة ٩٤هـ/٧١٢م سار القائدان نحو مدينة سرقسطة وتمكنا من فتحها^(٢)، بعدها اتجه القائدان نحو مدن إقليم كتلونية وهي طرطوشة وطركونة وبرشلونة وجيرونة حيث تم فتحها مباشرة بعد فتح مدينة سرقسطة Saragosa^(٣)، وبما يؤكد ذلك ما ذكرته بعض المصادر بأن جيوش موسى وبعوث طارق وصلت إلى المناطق الشمالية الشرقية من الأندلس لاسيما مدينة برشلونة^(٤)، وهذا يدل على أن مدن إقليم كتلونية فتحت مباشرة بعد فتح مدينة سرقسطة وقبل أن تتجه القوات الإسلامية إلى الشمال الغربي من الأندلس^(٥).

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٨ - ٣٥.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٧٣.٢٧٤؛ وينظر: الغنيمي، كيف ضاع الإسلام من الأندلس، ص ٨٤.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٧١؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٧٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ٥٢؛ طه، دراسات أندلسية، ص ٢٠؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٩١ - ٩٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٤/١٢٢؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٧٣ - ٢٧٤.

(٥) الزهري، كتاب الجغرافية، ص ٢١٠ - ٢١١؛ البهادلي، قطلونيا دراسة في أحوالها العامة، ص ٥٤.

ويبدو أن مدن إقليم كتلونية قاومت الجيش الإسلامي ، لاسيما المدن الواقعة على البحر دون أن تذكر المصادر التاريخية اسمها ، فقد أشار صاحب كتاب الإمامة والسياسة إلى بعضها بقوله إن: ((موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعاً حتى دانت له الأندلس ، وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم ، وغزا البشكنس فدخل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهائم ، ثم مال إلى أفرنجة حتى انتهى إلى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما دونها من البلاد إلى الأندلس... فأصاب فيها ما لا يدري ما هو ، ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهر أو أربعون يوماً ، قال : وذكروا أن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قال : كنت ممن غزا مع موسى الأندلس حتى بلغنا سرقسطة ، وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى إلا يسيرا من ورائها ، فأتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب ، قال فبينما نحن محاصروها إذ أقبل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى فقال: أيها الأمير إنا قد فرقنا الجيش أرباعاً على نواحي المدينة وقد بقي الباب الأقصى وعليه رتبة ، قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فإننا سننظر فيه ، قال : ثم إن موسى التفت إليّ فقال لي كم معك من الزاد قلت ما بقي معي غير تليس ، قال: فأنت لم يبق معك غير تليس وأنت من أمراء الجيش فكيف غيرك اللهم أخرجهم من ذلك الباب ، قال المغيرة : فأصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب ، فدخلها موسى منه ووجه ابنه مروان في طلبهم فأدركهم فأسرع القتل فيهم

وأصابوا بما كان معهم وما في المدينة شيئاً عظيماً ، قال: وذكروا أن جعفر بن الأشتر قال كنت فيمن غزا الأندلس مع موسى فحاصرنا حصناً من حصونها عظيماً بضعاً وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه ، فلما طال ذلك عليه نادى فينا أن أصبحوا على تعبئة وظننا أنه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وأنه يريد التحول عنهم فأصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: أيها الناس إني متقدم أمام الصفوف فإذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا ، فقال الناس: سبحان الله أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل إليه ، قال: فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعدنا ، ثم إن موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التي تلينا فدخل الناس منها وما راعني إلا خيل المسلمين تمزج فيها وفتحتها الله علينا فأصبنا من السبي والجواهر ما لا يحصى^(١) ، ولا يستبعد أن تكون مدينة برشلونة إحدى أوجه المقاومة ضد القوات الإسلامية لوقوعها على ساحل البحر.

وقد وصف لنا ابن خلدون فتح المسلمين لمدينة برشلونة والمناطق الأخرى بقوله: ((... وأثخنوا في أمم الكفر وافتتحوها برشلونة من

(١) ابن قتيبة (منسوب)، ٢/٢٤١ - ٢٤٢؛ ينظر أيضاً: مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٧٨.

جهة الشرق ، وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف^(١) ، وانقضت أمم القوط وارزا الجلالقة ومن بقى من أمم العجم إلى جبال قشتالة وقرمونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها ، وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا بسائط وراءها...))^(٢).

وبعد فتح مدن إقليم كتلونية ، استمرت القوات الإسلامية في التوغل في الشمال الأسباني وانقسمت إلى قسمين ، الأول بقيادة موسى بن نصير والثاني بقيادة طارق بن زياد ، وقد تمكن القائدان من إتمام فتح شبه الجزيرة الأيبيرية باستثناء بعض الأجزاء من اشتوريس وجليقية ، التي لم يتعرفا على طبيعتها الجغرافية فاكتميا بأخذ الجزيرة من أهلها^(٣) ، ومن أجل حماية المناطق التي افتتحت ، اتبع المسلمون سياسة جديدة في الأندلس وهي توطين المسلمين ووضع الحاميات العسكرية فيها من أجل الحفاظ على المكتسبات التي تحققت^(٤).

(١) الجوف المقصود به غرب الأندلس : ينظر : ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، صص ١١٥ - ١١٦ ؛ ويقصد به أيضاً الشمال، أرسلان، الحلل السندسية، ٥٨/١ - ٥٩.

(٢) العبر، ١٢٣/٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، صص ٣٥ - ٣٦ ؛ المقري، نضح الطيب، ٢٧١/١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٢/٤ ؛ المقري، نضح الطيب، ٢٣٤/١.

ليس لدينا معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أم البربرية ، ولكن بشكل عام فإن بعض المصادر أشارت إلى أن بعض القبائل العربية سكنت في الشمال الشرقي من الأندلس والتي تقع ضمنها برشلونة ، ويمكن القول إن الاستقرار هناك صاحب عمليات الفتح ، فقد أشار المقري إلى ذلك بقوله: (وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية ، وسكنت العرب المفاوز ، وكان العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسونه حطّوا به ونزلوه قاطنين ، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس ، وخذل الشرك)^(١) ، وأضاف إلى أن موسى وطارق عندما قفلا راجعين (ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من أثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها)^(٢) ، وقال صاحب كتاب فتح الأندلس (آخر خبره: القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): إن موسى وطارق عندما قفلا إلى المشرق رجع معهما من أراد الرجوع من الناس وأقام بالأندلس كل من أراد سكنها في مواضعهم التي كانوا اختطوها واستوطنوها^(٣) ، وهذا يعني أن عملية الاستيطان والاستقرار الأولى كانت متزامنة مع عمليات الفتح وأنها كانت اختيارية.

ولما كان معظم الجيش الذي مع موسى هو من العرب^(٤) ، لذا

(١) نصح الطيب، ١/٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ١/٢٧٦.

(٣) مؤلف مجهول، ص ٣٣.

(٤) المصدر نفسه، فتح الأندلس، ص ٢٤.

كان الاستيطان الأول للعرب هو مع خط سير موسى ، فكانت المناطق الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى المتمثلة بمقاطعة كتلونية استوطنها العديد من القبائل العربية منذ مرحلة الفتح ، وهناك بعض النصوص التي تؤشر ذلك ، فقد أشار صاحب كتاب أخبار مجموعة إلى أن البربر عندما ثاروا أيام عبد الملك بن قطن^(١) أخرجوا العرب من الثغور ((إلا ما كان من عرب سرقسطة وثرغهم ، فإنهم كانوا أكثر من البربر ، فلم يهجم عليهم البربر))^(٢).

ومن أشهر القبائل العربية التي سكنت المنطقة قبيلة تجيب ، وتجب هم بنو السكون بن أشرس بن كندة نسبوا إلى أمهم تجيب بنت ثوبان بن سليم^(٣) ، نزل العديد منهم في منطقة الثغر الأعلى ، واستوطن قسم منهم في مدينة برشلونة كان منهم في بداية الفتح عميرة بن المهاجر التجيبي وأخوه عبد الله بن المهاجر^(٤) ، وكان لتجيب دور بارز في أحداث برشلونة ومنطقة الثغر الأعلى استمر

(١) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القهري، أمير الأندلس، وليها للمدة من سنة ١١٤ - ١١٦هـ / ٧٣٢ - ٧٣٤م بعد عبد الرحمن الغافقي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الأمير بإفريقية أما ولايته الثانية فكانت سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م، وقتل بالأندلس في السنة نفسها. الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٨.

(٢) مؤلف مجهول، ص ٤٢.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣٠.

حتى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

ومن القبائل العربية التي سكنت المنطقة أيضا جذام^(١)، فسكن العديد منهم الأندلس ومنطقة الثغر خاصة وكانت لهم كما قال ابن حزم (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): (رياسة وتفرع، وولاتهم معروفة)^(٢)، ومنهم بنو هود الذين كانوا من أشهر حكام سرقسطة والثغر الأعلى^(٣).
ومن بطون قريش الذين سكنوا بعض مناطق الثغر، بنو عبد الدار بن قصي بن كلاب^(٤)، ولعب بعضهم دورا في أحداث المنطقة منهم عامر العبدري^(٥) الذي ثار في سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م في منطقة الثغر الأعلى^(٦).

-
- ١) جذام نسبة إلى جذام بن عدي بن الحارث بن مرة ابن أدد بن زيد بن يشجب، ينظر، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٠.
 - ٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١.
 - ٣) ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤١ - ٥٦؛ ابن الأبار، التكملة، ١/ ٣٤٩؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٦.
 - ٤) وهم بنو عبد الدار بن قصي بن كلاب، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٢٦؛ ابن الأبار، التكملة، ٤/ ٢١٣، ٢٦٥.
 - ٥) ذكر مؤلف مجهول أن عامر العبدري _ من بني عبد الدار - راسل الخليفة العباسي المنصور للقيام بالدعوة العباسية في الأندلس وتبعه العديد من أهل اليمن فلما أحس به يوسف الفهري وأراد القبض عليه هرب إلى سرقسطة وأعانه هناك رجلا من بني زهرة بن كلاب وكان بها الصميل بن حاتم فحاصره فاستمد الصميل يوسف فلم يمهده لأنه كان يتمنى هلاكه، فاستعان بقومه من مضر وتمكن من الانسحاب عن سرقسطة إلى طليطلة فدخلها عامر العبدري وحليفة الزهري. أخبار مجموعة، ص ٦٣ - ٦٥.
 - ٦) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٣ - ٦٥؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٧٩ - ٨٠.

فضلاً عن ذلك فإن هناك العديد من القبائل العربية التي سكنت منطقة الشمال الشرقي من الثغر الأعلى ، مثل غافق^(١) وجميلة^(٢) وهذيل^(٣) ، ولعل انتشارهم هناك كان على شكل مجموعات قليلة جعلت المصادر لا تشير إلى الأماكن التي سكنوها فكان نشاطهم ضمن المجموعات العربية الكبيرة التي لعبت دوراً مؤثراً هناك. ويبدو أن سير العمليات العسكرية لعب دوراً في عملية الاستيطان الإسلامي هناك ، وكما أشرنا ، فإن نزول القبائل العربية هناك لأن المنطقة كانت ضمن عمليات فتوح موسى فضلاً إلى ما اشتهرت به من مصادر طبيعية كالمعادن وخصوبة التربة ووجود الزراعة فيها لاسيما الحبوب والفواكه.

وقد تحدث مؤنس إلى انفراد قبيلة بني تميم للسكن في مدينة برشلونة بقوله: ولو أن العرب مروا أول الأمر بناحية كتلونية ورأوا خصب أراضيها لتزاحموا فيها ، ولكن لم يعرفها منهم إلا القليل في زمن متأخر فظلت شبه خلاء منهم ، ولم يسكنها إلا جماعة من بني تميم^(٤).

وبعد استقرار مجموعة من بني تميم في برشلونة أصبح عميرة

(١) ينظر عن مساكن غافق في الثغر الأعلى : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٣.

(٢) ينظر عن مساكن جميلة في الثغر الأعلى : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٠ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٢.

(٣) ينظر عن مساكن هذيل في الثغر الأعلى : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢١٠.

(٤) فجر الأندلس، ص ٣٨٨.

ابن المهاجر التجيبي والياً عليها لمدة سنتين^(١)، ولم يحدد ابن حزم تاريخ ولاية عميرة لبرشلونة، والراجح أنها كانت في بداية الفتح لأنه كان من جند موسى بن نصير الداخلين إلى الأندلس^(٢)، ولكن لا توجد معلومات عن دورهم في مدينة برشلونة فيما بعد، وابن حزم الذي تحدث عن دور هذه الأسرة العربية الأول في برشلونة انتقل مباشرة للحديث عنهم كأمرأ لمنطقة الثغر الأعلى بأكملها واستمر دورهم المؤثر هناك حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٣).

أما القبائل البربرية، فقد كانت أقل وضوحاً من حيث الانتشار في مدينة برشلونة، فقد نزلت مجموعات من زناتة في مدينة لاردة وطركونة، المجاورتين لمدينة برشلونة^(٤)، كما عاشت مجموعة من قبيلة مدغرة وهي من البربر البتر في مدينة طرطوشة القريبة منها أيضاً بالقرب من مصب نهر الأبرو^(٥).

إن انتشار بعض من القبائل البربرية في المدن المحيطة ببرشلونة والقريبة منها لا يستبعد أن استقر قسم منهم بها لاسيما وأنها تمتلك كل مقومات الحياة.

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠؛ التميمي، التجيبيون في الأندلس، ص ١٣.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠ - ٤٣١؛ ينظر أيضاً عن دور بني تجيب في منطقة الثغر الأعلى: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤١ - ٥٢.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٨؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٧.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ١٣٩/٣؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٢.

ثانياً: برشلونتها في عهد الولاية

يبدأ عهد الولاية بتولي عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥-٩٧هـ/٧١٣-٧١٥م) إدارة البلاد خلفاً لأبيه الذي استدعاه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد عمل عبد العزيز بن موسى على استكمال فتح المناطق التي لم يصل إليها المسلمون وتعزيز وجودهم في المناطق التي تم فتحها ، ونالت منطقة الشمال الشرقي اهتماماته ، ففي رواية أنه قاد حملة بلغ بها إلى أربونة^(١) ، ومن البديهي أن يكون مروره إلى أربونة عبر برشلونة المطلة على الممر الرابط أوروبا بالأندلس والذي وصفه أبو الفدا بأن ليس للأندلس طريق في البر إلا من الجبل من جهة برشلونة^(٢) ، إن هذه الرواية دفعت أحد الباحثين إلى ترجيح أن يكون فتح برشلونة في المدة بين سنتي ٩٥-٩٧هـ/ ٧١٣-٧١٦م^(٣) ، إلا أننا نرى أن هذا الأمر قد ينطبق على

(١) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٨٣ ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١١١.

(٢) تقويم البلدان، ص ٤٧.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين، ص ١١١.

بنبلونة التي وجد في عهد شهادة التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني المتوفي سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م^(١) ، وأن فتح برشلونة كان في عهد موسى بن نصير^(٢) ، ولعل اللبس الذي حصل جاء من كون أغلب العمليات العسكرية التي توغلت في بلاد غالة كانت عبر برشلونة وهو ما دفع بعض الباحثين إلى القول إن فتح الساحل الشرقي بين أربونة وبرشلونة تم في عهد عبد العزيز بن موسى^(٣) .

والأمر أعلاه ينطبق على عهد الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٧-١٠٠هـ / ٧١٦-٧١٩م) فأشار أحد الباحثين نقلاً عن أحد الحوليات إلى أن هذا الوالي فتح كتلونية وبرشلونة إلا أن المصادر العربية لم تؤكد ذلك لذا يصعب التعويل عليها^(٤) .

وكان الأمر أكثر وضوحاً في عهد الوالي السمع بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ / ٧١٨-٧٢٠م) إذ أن موقع مدينة برشلونة الاستراتيجية ، جعلها تصبح قاعدة عسكرية مهمة للقوات الإسلامية للانطلاق منها تجاه بلاد الغال (Gaulia) (الجنوب الفرنسي) ، ففي عهده سارت القوات من هذه المدينة واجتازت الممر الفاصل بين برشلونة وأربونة وتمكنت من فتح أربونة عاصمة سبتمانية

(١) ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٤٨ - ١٥١ .

(٢) ابن خلدون، العبر، ٤/ ١٢٢ ؛ المقري، نضح الطيب، ١/ ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣) سالم، تاريخ المسلمين، ص ١١١ ؛ البهادلي، قضاثونيا، ص ٥٩ .

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٩٢ ؛ ينظر أيضا : السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ٤٩ .

Septimania^(١) ، وواصلت تقدمها حتى وصلت إلى طولوشة^(٢) Toulouse^(٣) والتي كادت تسقط بيده ولولا تدخل حاكم أكيثانية (أقطنانية) الدوق أودو ، وحدثت بالقرب من المدينة معركة شديدة أسفرت عن هزيمة المسلمين واستشهاد قائدهم السمح سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م فانسحبوا بقيادة عبد الرحمن الغافقي إلى أربونة^(٤).

من خلال ذلك يتضح بأن مدينة برشلونة كانت القاعدة لتجمع القوات الإسلامية الوافدة من مختلف أنحاء الأندلس ، ومنها تسيير إلى أربونة ، التي تعد القاعدة المتقدمة لفتح مناطق بلاد الغال. وفي عهد الوالي عنبة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ / ٧٢١-٧٢٥م) ، اتخذت مدينة برشلونة مرة أخرى كقاعدة عسكرية للمسلمين ، عندما قاد عنبة سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م الجيش الإسلامي منها إلى القاعدة الشمالية أربونة ، ومنها قام بفتح مدن عدة في بلاد الغال ، منها مدينة

(١) إقليم يقع في جنوب فرنسا كان في العهود الرومانية شريطاً ضيقاً من الأرض محاذياً لساحل البحر المتوسط ، وامتد الاسم في عهد الإفرنجة حتى شمل جميع المنطقة، وقد استولى القوط الغربيين على هذا الإقليم، ثم انتزعه الإفرنجة، ثم وقع في قبضة العرب وانتقل في النهاية إلى كونتات تولوز، ينظر : غريال، الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٥٨.

(٢) مدينة تقع جنوبي فرنسا وهي عاصمة أقطنانية، ينظر : الحججي، التاريخ الأندلسي، ص ١٨٥.

(٣) ينظر عن فتوحات السمح بن مالك : ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ٢٦ ؛ المقري، نوح الطيب، ١/ ١٢٠ - ١٢١.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ٢٦.

قرقشونة Carcassonne^(١) ومدينة نيمس Nimes ، وتمكن من أسر العديد من النصارى ونقلهم إلى مدينة برشلونة^(٢) ، إذ كان الأسرى الذين يأسرهم المسلمون من بلاد الغال ينقلون إلى مدن الثغر الأعلى ومنها برشلونة وطركونة ومنها يفرقون في باقي البلاد الأندلسية^(٣).

وبذلك غدت برشلونة وطركونة قواعد عسكرية ترفد القوات المتقدمة بالجند عند الطلب ، ومراكز لتجمع الأسرى الذين عوملوا بالرحمة والعطف مما ساعد على قيام روابط الود بين المسلمين وأهالي البلاد^(٤).

وبعد خسارة المسلمين في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م^(٥) ، حفزت هذه الأحداث القبائل الإفرنجية والبشكنس Bascons ، وكذلك منطقة كتلونية ، ومن ضمنها برشلونة على الخروج عن طاعة المسلمين ، مما دفع الأخيرين إلى إخضاعهم ، فبادر

(١) طه، دراسات أندلسية، ص٥٩؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٧٣؛ طرخان،

المسلمون في أوروبا، ص٤٤؛ الصويغ، تاريخ العرب في الأندلس، ص٢٢٤.

(٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٧٣؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٩؛ حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمرائي والاجتماعي، ص٧٧.

(٣) السامرائي، الثغر الأعلى ، ص١٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٩؛ البهادلي، قطلونيا، ص٦٢.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن معركة بلاط الشهداء ينظر: الغنيمي، معركة بلاط الشهداء، ص٩٣.٤٩؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٥٤- ٥٥؛ يوسف، دور اليمينيين السياسي، ص١٣٢.١٣١؛ لويون، حضارة العرب، ص١٢؛ الغانم، معركة بواتيه، ص١٢٢.١٢٠؛ عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ص٤٦- ٧٠.

الوالي عبد الملك بن قطن في مدة حكمه الأولى (١١٤-١١٦ هـ / ٧٣٢-٧٣٤م) إلى إعادتهم إلى الطاعة^(١)، كما اجتاز جبال البرت إلى لانجدوك في بلاد الغال، وعمل على تدعيم الوجود الإسلامي في المناطق التي فتحت هناك، وتحصين المدن التي كانت بأيدي المسلمين^(٢).

كما شاركت قوات من برشلونة وطركونة في فك الحصار عن مدينة أربونة، إذ قاد شارل مارتل (Charle martel) (٦٩-١٢٤ هـ / ٦٨٨-٧٤١م) سنة ١٢٠هـ / ٧٣٨م حملة عسكرية وشن هجوماً عنيفاً على هذه القاعدة الإسلامية المتقدمة في بلاد الغال، وكان قد حشد جيوشاً كبيرة لهذا الغرض، وبدأت القوات باحتلال المناطق والمدن التي تقع على الطريق الموصل لأربونة، وقام بفرض حصار شديد عليها، وقد استمات أهلها في الدفاع عنها من القوات العسكرية والسكان المحليون، ولكنهم عجزوا عن إيقاف الهجوم نتيجة حجم القوة العسكرية النصرانية الكبيرة^(٣)، وعلى إثر ذلك سارعت قوات مدينتي برشلونة وطركونة بإرسال سفن النجدة لفك الحصار عن أربونة لاسيما وأن هذه المدن كان يكمن عندها المسلمون عند طلب الفرصة للغزو، مما اضطر النصارى إلى رفع الحصار عنها^(٤).

(١) المقري، نضح الطيب، ٢٣٦/١، ١٨/٣ - ١٩.

(٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣٤؛ طه، دراسات أندلسية، ص ٦٩.

(٣) سائم، تاريخ المسلمين، ص ١٤٨؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٠٦؛

مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٤) الحميري، صفة، ص ١٢٦؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص ١٤٤ - ١٤٥.

مرت الأندلس في عهد الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري (١٢٩ - ١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٥م) آخر حكام عهد الولاة بأزمات سياسية واقتصادية كان لها تأثير سيء على منطقة الثغر الأعلى ، فقد خرجت العديد من مدن سبتمانية عن الحكم الإسلامي كما استقلت إمارات البرتات مثل قنطارية ونبرة(نافار) Navarra وتغلب بلاي على أستوريس ، وانتهز بين الثاني بن شارل مارتل الفرصة فانقض على أربونة وفتحها بعد حصار شديد سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٢م^(١) ، وعبثاً حاول يوسف الفهري إنقاذها لضعف الجبهة الداخلية في الأندلس^(٢) ، وفي عهده سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية وهو ما تسبب افتراق أهل الأندلس وفسح المجال لدخول عبد الرحمن بن معاوية(الداخل) إليها^(٣) ، ومن الناحية الاقتصادية فقد اجتاح القحط بلاد الأندلس خلال ولاية يوسف الفهري بسبب انحباس الأمطار((...ولم تسق وخرج عنها جل أهلها ثم سقى فصلحت ثانية فضعف بذلك ثغر سرقسطة...))^(٤).

(١) سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٥٠ ؛

(٢) ينظر التفاصيل عن أحوال الأندلس السياسية في آخر عصر الولاة: اشتيوي، الأندلس في عصر الولاة، ص ١٥٥، ٩٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٨٦-١٠٠.

(٣) ينظر التفاصيل عن دخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس : ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٨٩٨٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٠/٢ - ٥٨.

(٤) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص ٦٩ ؛ وينظر عن الأزمات الاقتصادية في الأندلس في عهد يوسف الفهري، الشويلي، الأزمات الاقتصادية، ص ٥٣ - ٥٦.

ثالثاً: برشلونته في عهد الإمارة (١٢٨-١٨٥هـ/٧٥٥-٨٠١م)

دخل عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) قرطبة معلناً قيام دولة جديدة للأمويين في الأندلس ، ولم تكن منطقة الثغر الأعلى مستقرة في أيامه بشكل عام ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها: بعد المنطقة عن العاصمة مقر الأمير وصعوبة طبيعتها الجغرافية ما يبعث بالطمأنينة إلى الثائرين والأمل بالنجاح ، فضلاً عن قربها من أراضي الأعداء سهل على الثائرين الهرب في حال الهزيمة وعرقلة وصول الإمدادات بسرعة ، كما أن أغلب الثائرين والمتمردين ينتمون إلى أسر ذات جاه نفوذ وعصبية في المنطقة وهي تعبر عن غلبة النزعة الاستقلالية ، وأخيراً موقف مملكة الإفرنج التي كانت تخشى القوة الجديدة على حدودها الجنوبية وأن تتكرر موجة الفتوحات مرة أخرى ، لذلك تعاملت مع الثائرين ووقفت إلى جانبهم فضلاً عن تجنيد العديد من المحاربين للقتال إلى جانبهم ومحاربة أعداء النصرانية^(١).

(١) البهادلي، قطائونيا، ص ٦٥ - ٦٩.

حركة أهل برشلونة سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م

كان على برشلونة في أيام الأمير عبد الرحمن الداخل سليمان ابن يقطان الكلبي المعروف بالأعرابي^(١)، وفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م ثار على الأمير عبد الرحمن، ولعل لثورته علاقة بتصفية الأمير عبد الرحمن لزعيم اليمانية أبا الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي^(٢)، وانضم إلى سليمان الأعرابي الحسين بن يحيى الأنصاري والي مدينة سرقسطة، وتحالفا على قتال الأمير عبد الرحمن الداخل الذي كان منشغلاً في تلك المدة في قمع بعض الفتن والاضطرابات في الأندلس^(٣)، وعلى أثر ذلك أرسل إليهم الأمير عبد الرحمن سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي إلا أن سليمان الأعرابي تمكن من هزيمة جيش ثعلبة وأسر^(٤).

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥.

(٢) كان أبو الصباح وهو واحد زعماء اليمانية انضم إلى عبد الرحمن الداخل ضد يوسف الفهري وذلك نكاية بالقيسية، فلما دخل عبد الرحمن قرطبة دعا أتباعه إلى التخلص منه فلم يجبه أحد، فبلغ ذلك عبد الرحمن فأضمرها له، وولاه إشبيلية ثم عزله ولاطفه حتى استقدمه إلى قرطبة وقتله وذلك سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٦ - ٩٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٨.

(٣) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٣.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١٢ - ١١٣؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٨؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٢٩.

ويبدو أن الأعرابي والأنصاري استشعروا عدم قدرتهم على مواجهة قدرات الأمير عبد الرحمن ، فدفعهم ذلك أن يستنجدا بشارلمان ملك الإفرنجية (١٥١-١٩٩هـ / ٧٦٨ - ٨١٤م) بعد أن ساءت علاقتهما بالأمر الداخلي ، وقد وجدت دعوتهم استجابة من قبل شارلمان ، لأنه كان يسعى إلى مد سلطته إلى الأندلس أو على أقل تقدير القسم الشمالي منها ، وذلك لضعف سلطة المسلمين فيها بوجود النصارى الأاسبان أولاً ، ثم وجود الأعرابي والأنصاري المتمردين على الحكم الإسلامي^(١).

إذ تذكر الرواية الإسلامية بأن سليمان الأعرابي استدعى شارلمان إلى بلاد المسلمين ووعده بتسليم برشلونة وسرقسطة^(٢) ، واستفاد من أسره لثعلبة قائد الأمير عبد الرحمن فسلمه إلى شارلمان وحرضه على غزو الأندلس^(٣) ، وعلى أثر ذلك أعد شارلمان جيشاً كبيراً في سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م تألف من أطراف مختلفة من البافاريين واللومبارديين والأستراسيين والبرجنديين وأهل سبثمانيا^(٤) ، وسارت القوات بإتجاهين: الأول كان بقيادة دوق برنارد الذي وصل إلى

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١٢ - ١١٣؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٨.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٨؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٩/٤.

(٣) سائم، تاريخ المسلمين، ص ٢٠٢.

(٤) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٧٤.

الأندلس عن طريق سبتمانيا قاصداً برشلونة ، أما الثاني فكان بقيادة شارلمان نفسه وقصد القسم الشمالي وسلك ممرات جبلية وعرة عبر طريق رونسفاله Roncevles^(١) .

وبعد اختراقه الجبال ، توجه شارلمان إلى مدينة سرقسطة بعد ضمان حسن نوايا المتحالفين من المسلمين معه ، وكان المتحكم الفعلي في شؤون هذه المدينة الحسين الأنصاري ، وبدلاً من التعاون مع شارلمان قام بإغلاق أبواب المدينة بوجهه واعتصم بداخلها ، وبذلك أحقق شارلمان بالاستيلاء على هذه المدينة^(٢) .

عندها اضطر شارلمان على الانسحاب من الأندلس بعد فشل خطته العسكرية ، فضلاً عن تجدد ثورات السكسون ضد حكمه^(٣) ، فعاد إلى بلاده مصطحباً معه والي برشلونة وجيرونة سليمان بن يقطان الأعرابي كأسير حرب ، لأنه خشى أن يكون ضالعاً في مؤامرة حيكت ضده بالاتفاق مع الأنصاري ، مما جعله يلقي التبعية عليه في فشل الحملة^(٤) .

ومن أجل إنقاذ والي مدينة برشلونة سليمان الأعرابي من

(١) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٧٥؛ الحاويك، عبد الرحمن الداخل، ص ١٤٦.
(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٣؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٨.

(٣) عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ٢٠٢/١؛ دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ص ٢٣٠.

(٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٣؛ وينظر أيضاً: الشيخ، دولة الإفرنجية، ص ١٤٧ - ١٤٨.

الأسر ، تحالف أبناؤه مطروح وعيشون مع حاكم سرقسطة الحسين الأنصاري وجمعا قواتهما^(١) ، وانضمت إليهم أيضاً فلول البشكنس بعد أن دمر شارلمان مدينتهم بنبلونة Pamplona أثناء هذه الحملة ، لذلك كانوا عازمين على الثأر لما أصابهم من خراب على يديه^(٢) ، وفعلاً نجح المتحالفون في القضاء على مؤخرة جيش شارلمان واستطاعوا السيطرة على عدد كبير من الغنائم وأنقذوا الرهائن والأسرى وعلى رأسهم سليمان الأعرابي^(٣) .

وقد خسر شارلمان في هذه المعركة أبرز قواده منهم رولاند حاكم مقاطعة بريتاني Prittany الفرنسية ، وكذلك السنجال أجنهارد Egginhard وأنسلم Anselm كونت مقاطعة بلاتين Platine^(٤) ، فضلاً عن عدد آخر من القادة ورجال الدين المهمين^(٥) .

وبعد فك أسر سليمان الأعرابي رجع إلى مدينة برشلونة^(٦) ، فاستغل أحد المتمردين وهو عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي^(٧) ،

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٣ .

(٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٢ ؛ الصويغ، تاريخ العرب في أسبانيا، ص ١٥ - ١٦ .

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ١٧٧ - ١٧٨ ؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٨ .

(٤) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٧٨ ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٠٣ .

(٥) وات، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص ٤٩ .

(٦) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥ .

(٧) هو حفيد عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي سيطر على ولاية شمال =

استيائه بعد فشل حملة شارلمان ، ونزل بمنطقة تدمير Tudmir في شرق الأندلس وأعلن الثورة ضد الأمير عبد الرحمن وباسم الدولة العباسية^(١)، وكان ذلك في سنة ١٦٣هـ / ٧٧٩م^(٢) ، وحاول الصقلبي الاتصال بسليمان الأعرابي إلا أن سليمان لم يوافقه الرأي ، وقد علق على ذلك مؤلف مجهول بقوله ((...فكتب سليمان الأعرابي الكلبي وكان بربشونة ودعاه إلى الدخول في أمره فكتب إليه العرابي أنني لا أدع عونك فأمتعض الفهري من جوابه...))^(٣) ، فيما أشار ابن الأثير صراحة إلى أن الصقلبي دعا الأعرابي إلى الدخول في طاعة الدولة العباسية والدعاء للخليفة المهدي العباسي^(٤) .

ولعل هذا الأمر هو ما دعا الصقلبي أن يجهز قوة عسكرية زحف بها نحو مدينة برشلونة لمحاربة الأعرابي ، إلا أنه انهزم أمام قوات

= إفريقيا، ولقب بالصقلبي لطوله وشقوته وزرقة عينيه، عبر من إفريقية إلى الأندلس ليحارب الأمير عبد الرحمن ويدعوه إلى طاعة الخليفة العباسي، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢ .

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥؛ وينظر: حسين، ثورات البربر في الأندلس، ص ٢٥ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢، فيما جعل ابن الأثير هذه الحادثة سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م قال وقيل سنة ستين مائة، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) أخبار مجموعة، ص ١١٠ .

(٤) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥ .

سليمان وعاد إلى تدمير ، ومن أجل القضاء على هذا المتمرد ومنع هروبه فقد لاحقه الأمير عبد الرحمن وأحرق سفنه حتى يقطع أمله في النجاة ، ثم حاصره في جبال بلنسية ، ولما عجز عن النيل منه ، بذل ألف دينار لمن يأتيه برأسه ، فقتله رجل من البربر وحمل رأسه إلى الأمير الداخل فأعطاه المال ، وبذلك انهارت دعوته وتمرده^(١).

بعد هذه الأحداث لم يستمر سليمان الأعرابي طويلاً في حكم برشلونة ، إذ سرعان ما أحيكت مؤامرة ضده بين الحسين الأنصاري والأمير عبد الرحمن ، فاتفق الداخل مع الأنصاري أن يولييه حكم مدينة سرقسطة إن قتل سليمان الأعرابي ففعل ذلك ، إذ هيا رجلاً من أعوانه وتمكن من اغتيال الأعرابي في مسجد سرقسطة سنة ١٦٤هـ / ٧٨٠م^(٢).

وبعد مقتل سليمان الأعرابي هرب أولاده مطروح وعيشون إلى شمالي الأندلس ، في مدينتي برشلونة وجيرونة^(٣) ، ربما لجمع الأنصار لأن المدينتين كانتا تحت حكم أبيهما ، وفعلاً فقد تمكن عيشون من التسلل إلى سرقسطة خلال وجود الأمير عبد الرحمن الداخل فيها ، وتمكن من قتل قاتل أبيه إلا أن الأمير الداخل قتله بعد أن ارتاب منه^(٤).

(١) للتفاصيل ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب ٦٨/٢٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٨/٤.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١٤ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٦.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ٦٩/٢٢.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١٤ - ١١٥.

أما مطروح بن سليمان الأعرابي فقد استقر في مدينة جيرونة ، إلا أنه لم يدم فيها طويلاً ، إذ سرعان ما سيطر عليها الإفرنجية سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م وكانت تحت سيطرته^(١) ، على إثرها سار مطروح إلى مدينة برشلونة واستقر بها حتى وفاة الأمير عبد الرحمن واعتلاء ابنه الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) الحكم ، فانتهاز فرصة انشغال الأمير هشام بتمرد إخوته عليه ، فتمرد هو أيضاً في السنة التي تمرد فيها سعيد بن الحسين الأنصاري ، وكان ذلك سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م^(٢) ، ولعل السبب في تمرد مطروح هو السياسة التي اتبعتها الأمير هشام في استبدال ولاية الثغر الأعلى لاسيما مدينتي طرطوشة وبرشلونة فضلاً عن مقتل أبيه^(٣) .

استمر مطروح بتمرده في مدينة برشلونة إلى أن قُضيَ على تمرد سعيد بن الحسين الأنصاري سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م ، فاستدعاه أهالي مدينة سرقسطة فأجابهم ، ودخل المدينة وتمكن من السيطرة عليها^(٤) ، كما فرض سيطرته على مدينة وشقة ومعظم مدن الثغر

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ٢٢٣.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١١٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٢/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٧٤/٢٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٦؛ النويري، نهاية الأرب، ٧٤/٢٢.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٦؛ النويري، نهاية الأرب، ٧٤/٢٢.

الأعلى الأندلسي^(١)، مستغلاً انشغال الأمير هشام بتمرد إخوته^(٢).
أقلق علو شأن مطروح بن سليمان الأعرابي وسيطرته على معظم
مدن الثغر الأعلى الأمير هشام، ويبدو أنه خشي أن يتعاون مطروح
مع أخويه مما يعقد الأمور عليه، لذلك سارع بإرسال قائده عبيد الله
ابن عثمان لمحاربة مطروح فحاصره بسرقسطة إلا أنه لم يتمكن من
الظفر به، وتشير المصادر إلى أن مطروح أثناء وجود قوات الأمير في
سرقسطة قتل من قبل بعض المقربين إليه وهم عمرو بن يوسف
زعيم أسرة بني عمرو، ورفيقه شرحبيل بن صلتان الزواغي
الليذان كانا في خدمته سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م^(٣)، ويبدو أن ذلك حدث
بالاتفاق مع قائد الأمير هشام عبيد الله بن عثمان، بدليل أنهما
أرسلا برأس مطروح إليه كما أن الأمير هشام كافأ عمرو بن
جعلة والياً على طليطلة ثم طليطلة^(٤).

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١٨؛ ابن عذاري، البيان
المغرب، ٦٢/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٧٤/٢٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٣٠/٤.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١٨؛ النويري، نهاية الأرب،
٧٤/٢٢.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٣/٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٢٠.

رابعاً: سقوط مدينة برشلونة بيد الإفرنجية سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م

إن من أوائل الأحداث المهمة التي تعرضت لها برشلونة منذ دخول المسلمين إليها هي محاولة الإفرنجية السيطرة عليها ، إذ طمع شارلمان في الاستيلاء على ثغر برشلونة الحصين ليحمي أملاك الإفرنجية جنوب البرت ، ويكون حلقة اتصال بحري بين هذه المدينة من جهة ومملكة الإفرنجية من جهة أخرى ، وقد أمدت الثورات والاضطرابات المتدلعة في شمال الأندلس وما آلت إليه المنطقة من فتن شارلمان بفرصة جديدة لمد نفوذه وتوسيع نطاق أملاكه إلى الشمال الشرقي للأندلس^(١) ، أضف إلى ذلك أن شارلمان ربما أراد الثأر لخسارته في المعركة السابقة ، بعد أن قتل العديد من قاداته ، منهم رولاند الذي مرّ ذكره سابقاً ، ومنها أيضاً التجاء عبد الله البننسي عمّ الأمير الحكم (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) إلى شارلمان

(١) ابن خلدون، العبر، ١٣١/٤ ؛ الشيخ، دولة الإفرنجية، ص ١٦٩.

مستنجداً به ، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان قائلاً: ((...ومضى عبد الله بن الأمير عبد الرحمن على وجهه فاراً ، حتى انتهى إلى قارله ملك الفرنج ومعه ولده عبد الله وعبيد العزيز. فغلغل يبغي العز كل مغلغل))^(١) ، وقد لبي شارلمان دعوته^(٢).

لذلك أرسل شارلمان في سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م ابنه لويس المعروف بالتقي حاكم أكتانية بالجيش الإفرنجي إلى برشلونة ، وقد قسم لويس جيشه إلى ثلاث فرق ، الأولى تحاصر مدينة برشلونة ومن ثم الهجوم عليها ، والثانية برئاسة جيوم كونت طولوشة ، ومقرها بين مدينتي لاردة وطركونة لمنع المسلمين من إنقاذ مدينتهم ، وقطع الاتصالات عنها ، والثالثة بقيادة لويس نفسه ، وكان مقرها في أعالي جبال البرت ليتمكن من مهاجمة القوات الإسلامية عندما تسنح له الفرصة المناسبة^(٣).

وبالنسبة لبرشلونة فقد كان لخروج مطروح بن سليمان الأعرابي منها إلى سرقسطة ثم مقتله آثار سيئة عليها ، إذ أحدث خروجه فراغاً عسكرياً مكن الإفرنجية استثماره والاستيلاء على المدينة ، وقد أشار إلى ذلك العذري بقوله: كان مطروح ببرشلونة فلما عزله الإمام

(١) المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٩٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

(٢) الشيخ، دولة الإفرنجية، ص ١٦٣.

(٣) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣١ - ١٣٢ ؛ محمود، المسلمون في الأندلس، ص ١٦٩.

هشام عنها حمل ذكرها وخرج مطروح إلى سرقسطة ودخل معه عمروس وشبريط ، فعد ذلك تكمن العدو من برشلونة وجرنده^(١) .
وعن كيفية اقتحامها فقد أخذ الجيش الإفرنجي المحاصر لها بالضغط في أعمال الحصار ، فقسم ينصب السلالم لتسلق أسوار وأبراج المدينة ، وقسم مهمته هدم الأسوار ، وقسم وكل إليه جلب الميرة والعدة^(٢) ، وقد قاومت برشلونة الحصار ما يقارب سبعة أشهر ، وكان عاملها سعدون الرعيني في موقف حرج ، وأرسل صريخه يطلب المدد ، ولكن لم يصله شيء بسبب إحكام الإفرنجية الحصار ، فضلاً عن أن عمال الثغر كانوا يضمرون الخروج على السلطة ويودون اضطراب الأمور^(٣) ، مما اضطره إلى مغادرة المدينة تحت جناح الظلام للذهاب إلى قرطبة Cordoba لغرض طلب العون والمساعدة بنفسه ، إلا أنه اكتشف أمره وتم أسره^(٤) .

لم تستطع مدينة برشلونة مقاومة الحصار ، فاضطرت إلى التسليم ، بعد أن هدمت أسوارها وقتل أعداد كبيرة من أهلها ، وغنموا الكثير من الأسلحة والخيول ، فأرسل لويس جزءاً من الغنائم إلى والده شارلمان ، وبذلك فقدت منطقة الثغر الأعلى هذه

(١) ترصيع الأخبار، ص ٢٩ .

(٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣٢ ؛ الحلل السندسية، ٢/٢١١ .

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ٢٣٥ ؛ البهادلي، قطائونيا، ص ٩٣ .

(٤) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣٢ ؛ الشيخ، دولة الإفرنجية، ص ١٧١ ؛

الصوي، تاريخ العرب في أسبانيا، ص ٢٨ ؛ العليايوي، البشكنس، ص ٨٧ - ٨٨ .

المدينة ، وكان فقدان المسلمين لها خسارة كبيرة ، لأنهم فقدوا مركزاً عسكرياً مهماً في الثغر الأعلى ، إذ حوله الإفرنجية مقرأً لقواتهم العسكرية ، والتي صارت تشن هجماتها على مناطق الثغر الأعلى الأخرى ومنها مدينتي طرطوشة وطركونة^(١) ، وهكذا سقطت المدينة بعد حكم المسلمين لها نحو تسعين سنة.

وقد علق ابن حيان على هذه الأحداث بقوله: ((فيها غلب العدو من الفرنجة -قصمهم الله- على مدينة برشلونة ، قاصية ثغر المسلمين الشرقي مما يليهم ، انتهز فيها الفرصة أيام اضطراب أهل الثغر الأعلى على الأمير الحكم ، وانشتغاله عنهم بحرب عميه ، سليمان وعبد الله ابني الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، فأصاب العدو غرته من المسلمين ، وفلّ ثغرهم هذا ، فحازه إليه ، ونقل رابطته إليه ، وقهر برابطة المسلمين إلى ما دون برشلونة ، وأناخ عليها بكلكله ، وحصرها بجمعه ، وأميرها يومئذ سعدون الرعيني ، لم يمه أحد من المسلمين ، فملكها العدو عليهم ، وانتقلت إليها يومئذ رابطة الفرنجة عن مدينة جرندة ، فعظمت بذلك على أهل الإسلام الحسرة))^(٢).

أما ابن الأثير فقد تحدث عن ذلك بقوله: ((وفيها ملك الفرنج ، لعنهم الله ، مدينة برشلونة بالأندلس ، وأخذوها من المسلمين ،

(١) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣٢ ؛ العميرة، مرحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥١ - ٥٢ ؛ المياحي والعلياوي، الموقف الشعبي من هجمات النصراني على الأندلس، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٧٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م) ص ١١٦ - ١١٧ .

ونقلوا حماة ثغورهم إليها وتأخر المسلمون إلى ورائهم ، وكان سبب ملكهم إياها اشتغال الحكم صاحب الأندلس بمحاربة عميه عبد الله وسليمان^(١).

وقد أشار أحد الباحثين إلى خطورة سقوط المدينة بقوله: وترتب على فقدان المسلمين لثغر برشلونة أن تقهقرت حدودهم إلى مدن الثغر الأعلى وفقدوا أهم نقاط ارتكازهم في هذه الجهات ، وقواعد انطلاقهم إلى ما وراء جبال البرت حيث الأراضي الإفرنجية^(٢).

وبعد سقوط مدينة برشلونة تمكن شارلمان من ضمان حماية حدوده الجنوبية براً ، من خلال إقامة منطقة إدارية مع المسلمين في الأندلس ، عرفت باسم ماركية أسبانيا March of Spain أو الأطراف الإسبانية لمملكة الإفرنجية ، وشحنها بقوة عسكرية للدفاع عنها ، وهي أشبه ما يعرف بحرس الحدود ، وكانت هذه الماركية تتكون من المدن (جيرونة وأورجل وأوزونه وجزر البليار ثم برشلونة)^(٣).

وفي نهاية حكم شارلمان تم ضم ماركية أسبانية إلى مملكة أكويتينا ، ونصب أمير طولوشة صاحب النصيب الأوفر في غزو برشلونة أميراً عليها حتى وفاته سنة ١٩٧هـ/٨١٢م^(٤) ، وجعلوا أساقفة

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) الغنيمي، كيف ضاع الإسلام من الأندلس، ١٨٣.

(٣) عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٠١ - ٢٠٤؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٣٢.

(٤) طرخان، المسلمون في أوربا، ص ١٩٠؛ البهادلي، قطالونيا، ص ٩٥.

هذا الإقليم تابعين لرئاسة أسقفية ناربون (أربونة) ، وربطوا النظام الديرى فيه بالتنظيمات الديرية الفرنسية ، وكان ملوك الإفرنجية فى البداية هم من يعينون حكماً لبرشلونة من الأشراف أو الكونتات الذين ينتمون إلى أصل قوطى أو إفرنجى^(١) ، وعبور الزمن شعر حكام برشلونة بنوع من الاستقلال معتمدين فى ذلك على بعد الشقة ، وما يجرى من أحداث فى فرنسا ، فتحول الثغر الإفرنجى إلى إمارة نصرانية عرفت بإمارة كتالونيا والتي اندمجت فيما بعد بمملكة أراغون^(٢).

(١) عنان، دول الطوائف، ص٣٩٣؛ الشيخ، دولة الإفرنجية، ص١٧١.

(٢) الشيخ، دولة الإفرنجية، ص١٧١.

الفصل الثالث

مدينة برشلونة تحت الحكم النصراني
ومحاولات المسلمين استردادها
(١٨٠-٤٢٢هـ / ١٠٣٠-٨٠١م)

أولاً: الصراع الإسلامي النصراني على برشلونة (١٨٥ - ٣١٦هـ/
٨٠١ - ٩٢٨م)
ثانياً: الاشتباكات بين الطرفين في عصر الخلافة (٣١٦-
٤٢٢هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠م)

أولاً: الصراع الإسلامي النصراني على برشلونة

(١٨٥ - ٣١٦هـ / ٨٠١ - ٩٢٨م)

بعد إحكام الإفرنجية سيطرتهم على مناطق مهمة من شمال شرق الأندلس ، واتخاذها كقواعد عسكرية ، ولاسيما مدينة برشلونة ، جعل المناطق الإسلامية الأخرى من الثغر الأعلى عرضة لهجماتهم ، كما أن الإفرنجية عملوا على تدعيم إقليمهم وتوسيع رقعتهم ، ففي سنة ١٩٢هـ / ٧٠٨م هاجموا مدينة طرطوشة بقيادة لويس ابن شارلمان ، ورد عليهم الأمير الحكم بإرسال جيش كبير بقيادة ابنه عبد الرحمن ، لردع عدوان الإفرنجية ، واشتبك الجيشان في معركة عنيفة ، انتصر فيها المسلمون ، وأبادوا معظم القوات الإفرنجية وأنقذوا المدينة من السقوط ، وفي سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م أعادت القوات الإفرنجية المحاولة ، ولكنها أخفقت أيضاً ، ونجح المسلمون في سنة ١٩٦هـ / ٨١١م من صددهم عنها أيضاً^(١).

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٤٢ - ١٤٥؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٤٧ - ٢٥٣؛ حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمرائي =

أدرك المسلمون بالخطر الحقيقي الذي يهدد وجودهم في الثغر الشمالي الشرقي ، وأن الوجود الإفرنجي في مدينة برشلونة يمثل بؤرة ذلك الخطر ، فقرر الأمير الحكم مهاجمتها في محاولة لاسترجاعها ، فأرسل قوة بقيادة ابن عمه عبد الله البننسي إلى منطقة كتلونية ، فهاجمت قواته مدينة برشلونة وتمكنت من إلحاق خسائر كبيرة بالنصارى ، إلا أنهم لم يستطيعوا من دخول المدينة^(١).

ثم عاود الأمير الحكم محاولة استرجاع برشلونة سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م فأرسل حملة عسكرية كبيرة بقيادة ابن عمه عبيد الله بن الله البننسي وتمكن من اقتحام المدينة ، وقد وصف ابن حيان ذلك بقوله: ((وفيها أيضاً ، كانت غزوة عبيد الله بن عبد الله البننسي المعروف بصاحب الصوائف ابن عم الخليفة وصهره ، بصائفة هذه السنة ، فحل مدينة برشلونة المنتزعة من المسلمين ، وقد احتلها أمداد لأعداء الله الفرنجة ، جمَّ عددها يوم حلوله بالمسلمين ساحتها ، وكان يوم خميس ، فتشوق المسلمون لقتالهم ، ومنعهم قائدهم عبد الله أثر منع ، وحلت من غد يومهم الجمعة ، إلى حضر وقت الصلاة لها ، فلما تحقق وقت الخطبة في جوامع المسلمين ، وقد تقدم في تكتيب الكتائب وتعيئة الردود وترتيب المراتب ، ثم صلى ركعتين ، وركب ونادى في الناس بخلاط العدو ، فاختلفوا بهم

=والاجتماعي، ص١٤٣.

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٢٣٨؛ الصوفي، تاريخ العرب في

أسبانيا، ص٢٨ - ٢٩.

لحينهم ، وجعل يحمل على صفوفهم بأولى الحفاظ من المسلمين حملة إثر حملة ، لا ينشئ إلا عن نقص صف وإفشاء قتل وعقر خيل ، حتى دهش أعداء الله ، وقذف الرعب في قلوبهم ، فانهزموا ، ومنح الله المسلمين أعناقهم ، ففض جموعهم ، وقتل عامتهم ، فلما انجلت الحرب أمر عبيد الله بقناة طويلة ، فركزت في الأرض ، وصفت رؤوس الكفرة حوالها حتى ارتفعت فوقها وغيبت شباتها ، فلم يعلم مكانها من كوم الرؤوس المتراصة حفافها ، إلى أن تمهدت على قرارة الأرض ، وأمر المؤذنين فعلوا قمة ذلك التل يؤذنون فوقها ، فكانت غزاة شنيعة الخبر ممهدة للنصر ، شديدة الإثخان في أهل الكفر ، اختال الإسلام في أردية عزتها دهرًا^(١) .

أما ابن سعيد فقد علق على الحملة قائلاً: ((فيها غزا عبيد الله ابن عبد الله البنسي صاحب الصوائف فحل بربشلونة فلما كان حضور صلاة الجمعة وقد تقدم في ملاقة العدو صلى ركعتين وركب فنصره الله عليهم فدعا بقناة طويلة فركزت وصفت رؤوس النصارى حولها حتى ارتفعت فوقها وغيبت سنانها فأمر المؤذنين فعَلَوْهَا وأذنوا فكانت غزوة اختال الإسلام في أردية عزتها دهرًا^(٢) .

وقد تحدث ابن عذارى عن هذه الحملة بشكل يختلف بعض الشيء ، من حيث قياداتها وتاريخها ، إذ جعل حدوثها سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م ، إلا أنه سرد نفس التفاصيل التي ذكرها ابن سعيد ، إذ قال:

(١) المقتبس (للحقيبة ١٨٠ - ٧٢٢٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ، ٤١/١ .

((وفي هذه السنة ، أغرى الحكم عمه عبد الله البلنسي الغزوة الشنيعة المشهورة ، وكانت برشلونة: ألقى المشركين قد حلوا بها يوم احلاله ، وكان يوم الخميس ، فأراد من معه مناقشة الحرب ، وتشوقوا للقتال ، فمنعهم حتى إذا كان في اليوم الثاني ، وهو يوم الجمعة وقت الزوال ، أمر بتعبئة الكتائب ، ونصب الردود ، وقام ، فصلى ركعتين ، ثم نادى في الناس ، وركب هو ومن معه ، وناهض أهل الشرك ، وما أحسبه فعل ذلك إلا فقهاً وعلماً وتأسياً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث أمر بالقتال في تلك الساعة : فإن فيها تهب الأرواح ، وتفتح أبواب الجنة ، وتستجاب الدعوات ، فمنحهم الله أكتاف المشركين ، وانهزموا ، وقتل عامتهم ، وفرق جمعهم ، فلما أفلح من القتال وانجلى الحرب ، نصب قناة طويلة ، فأثبتت في الأرض ، وأمر بالرؤوس ، فجمعت وطرحت حواليتها حتى غابت القناة فيها ولم تظهر))^(١).

ويبدو أن المسلمين لم يستثمروا ذلك النصر لصالحهم ، إذ سرعان ما انسحبوا ، ولعلمهم أدركوا أن بقاءهم ربما يشكل خطراً عليهم ، فاكتفوا بما حققوه من ظفر ، ولا يستبعد أن تكون اتصالات حدثت بين الجانبين ، لأنه بعد ذلك سادت نوع من العلاقة الودية غير العدائية بين حكام برشلونة والمسلمين ، وما يرجح ذلك أنه في سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م أنهم حاكم برشلونة الإفرنجي الذي يعرف باسم بيبره

(١) البيان المغرب، ٢/٧٤.

Bera بموالته للمسلمين واتصاله بهم سرّاً فاكتشف أمره وأعدم على الحال^(١)، ولا نستبعد تلك العلاقة، بحكم موضع احتكاك المنطقة بين الجانبين، فأراد كلاهما إبعاد خطر بعضهما عن الآخر، لذلك عندما علم الإفرنجية بذلك، عدوه نوع من الموالاة للمسلمين فأعدم حاكم المدينة المعين من قبلهم.

كما حظيت مدينة برشلونة باهتمام الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م)، فبعد مدة وجيزة تجدد الاصطدام العسكري بين المسلمين والنصارى، إذ ذكر المقري أن الأمير أرسل حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد^(٢) إلى مدينتي برشلونة وجيرونة، وقد أفلح في مهمته إذ قال: ((أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم في العساكر إلى بلاد برشلونة، فعاث في نواحيها وأجاز الدروب التي تسمى البرت إلى بلاد الفرنجة فدوَّخها قتلاً وأسراً وسبياً، وحاصر مدينتها العظمى جرندة، وعاث في نواحيها، ووقل))^(٣)، إلا أن المقري لم يحدد تاريخ هذه الحملة،

(١) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٤٧.

(٢) أحد أكابر الدولة المروانية في الأندلس أيام الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن، وكان أبوه حاجباً للأمير هشام، وكان عبد الكريم شاعراً بليغاً توفي في طريقه لفتح جليقية سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقب ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١٠٣ - ١٠٥؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٣٥/١ - ١٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

(٣) نصح الطيب، ٣٤٦/١.

ولعلها كانت قبل سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م وهي السنة التي توفي فيها الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد^(١).

وفي سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م حدثت بعض الصراعات الداخلية عند النصارى ، إذ قام أحد النبلاء من سلالة القوط ويعرف باسم ايزون Aison بالثورة على الإفرنجية في منطقة الثغر القوطي (إقليم برشلونة) ، وتمكن من الاستيلاء على عدد من المدن والحصون مثل مدينة ازونه Assund الواقعة غربي مدينة جيرونة ، وقد استنجد الأخير بالأمير عبد الرحمن الثاني طالباً منه العون والمساعدة ضد الإفرنجية^(٢) ، ولما تأخر عليه المسلمون ذهب بنفسه إلى قرطبة لنجده ، وفي الحال أرسل الأمير عبد الرحمن معه جيشاً سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م ، بقيادة عبيد الله أحد أبناء عمه ، إلا أن حاكم مدينة برشلونة برنارد بن جيوم دوق تولوز (طولوشة) المعروف بذي الأنف القصيرة دافع عن مدينته واستمات في ذلك ، فلم يتمكن عبيد الله من فتحها^(٣).

وقد تحدث ابن حيان عن هذه الحملة ضمن أحداث سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م بقوله: ((وفيها غزا بالصائفة عبيد الله بن عبد الله ، صاحب الصوائف ، فاقتحم بلد الفرنجة ، حتى بلغ مدينة برشلونة ،

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

(٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٣٩؛ الصوفي، تاريخ العرب في أسبانيا، ص ٣٣؛
البيهادلي، قطائونيا، ص ١٠١.

فنازلها ، ثم تقدم إلى جرنده ، فحاصرها وقتلها ، وذلك في ربيع من هذه السنة^(١).

وأشار ابن الأثير إلى ذلك بالقول: ((وفيها سير عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً إلى بلد المشركين ، فوصلوا إلى برشلونة ، ثم ساروا إلى جرنده ، وقاتل أهلها في ربيع الأول ، فأقام الجيش شهرين ينهبون ويخربون))^(٢).

كما علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((غزا عبيد الله بن عبد الله البلسي بالصائفة إلى دار الحرب ، فجال في أرض العدو حتى بلغ برشلونة ، وتردد في تدويخها وانتسافها ستين يوماً))^(٣).

وبعد مدة استأنف الأمير عبد الرحمن الثاني حملته على مدينة برشلونة ، إذ أرسل في سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧م حملة عسكرية كبيرة بقيادة صاحب الصوائف ، عبيد الله بن عبد الله ، الذي توجه بها إلى منطقة الثغر الأعلى ، وهاجم أطراف مدينة برشلونة وما جاورها من المناطق^(٤) ، وفي سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م أرسل الأمير عبد الرحمن أيضاً جيشاً إلى مدينة برشلونة والمناطق المجاورة لها ((فدوخها قتلاً وأسراً وسبياً))^(٥).

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٢٢.

(٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٦٤.

(٣) البيان المغرب، ٨٣/٢ ؛ وينظر: النويري، نهاية الأرب، ٩٥/٢٢.

(٤) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٤٩.

(٥) ابن خلدون، العبر، ١٣٥/٤ ؛ وينظر أيضاً: المقرئ، نضح الطيب، ٣٤٦.

ويبدو أن منطقة الثغر القوطي الواقعة في الشمال الشرقي للأندلس ، بقيت منطقة متوترة ومضطربة ، إذ حدث فيها الكثير من الانشقاقات والتمردات ضد الحكم الإفرنجي المتمثل بالفرنسيين ، فقد ثار فيها زعيم يدعى غليالم بن برباط بن غليالم ، وأعلن الخروج على حكم ملك الإفرنجية شارل الأصلع (٢٢٦-٢٢٤هـ/ ٨٤٠-٨٧٧م) وذهب إلى العاصمة قرطبة سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م يطلب العون والمساعدة من الأمير عبد الرحمن الثاني ، فاستقبله الأمير بحفاوة بالغة ، وحقق له ما كان يطمح إليه ، ففي سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م كتب الأمير إلى عامله على مدينة طرطوشة عبيد الله بن يحيى وعامله على مدينة سرقسطة عبد الله بن كليب^(١) بضرورة مساعدة وتأييد ثورته ضد الإفرنجية ، فقام هذا الثائر غليالم بمهاجمة مدينة برشلونة وهدم أسوارها وحصونها ، كما هاجم مدينة جيرونة^(٢) ، وقد علق ابن حيان على ذلك ذلك بقوله: ((... فقتل وسبى ، وحرق وخرّب ، وحاصر برشلونة حتى أضرّ بها ، وتقدم إلى جريدة فشارفها...))^(٣) ، وفي أعقاب ذلك جرت مفاوضات بين الأمير عبد الرحمن وبين ملك الإفرنجية شارل الأصلع انتهت بعقد هدنة بينهما^(٤).

-
- (١) هو أخو عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي قائد الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد اشتهر بمحاربة بني قسي، ينظر: ابن الأثير، الحلة السيرة، ١٦١/١.
(٢) ابن حيان، المقتبس (للعقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص٣؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٥٦.
(٣) المقتبس (للعقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص٣.
(٤) الشيخ، دولة الإفرنجية، ص٢٤٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، =

ثم تجدد الصراع العسكري الإسلامي النصراني حول مدينة برشلونة إذ أرسل الأمير عبد الرحمن الثاني في سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م ، جيشاً إلى مدينة برشلونة قاعدة الثغر القوطي ، وتمكن من تحقيق أهدافه ، بعدها عاد أدراجه ، وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير بقوله: ((وفيها غزا جيش بالأندلس بلاد برشلونة ، فقتلوا من أهلها فأكثروا وأسروا جمماً غفيراً وغنموا وعادوا سالمين))^(١).

ويبدو مما تقدم أن جميع الحملات التي قادها المسلمون لاسترجاع مدينة برشلونة من أيدي النصارى قد باءت بالفشل ، وأن النجاح الذي حصلوا عليه هو كميات من الغنائم والأسلاب ، فضلاً عن الحد من التوسع الإفرنجي في المنطقة إذ باتت قاعدتهم برشلونة تحت مطرقة المسلمين كلما سنحت الفرصة لهم ذلك.

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) ، عادت المواجهات العسكرية بين الطرفين الإسلامي والنصراني على مدينة برشلونة ، إذ أشار ابن خلدون إلى أن الأمير محمد ومع بداية ولايته أرسل جيشاً سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م إلى نواحي برشلونة بقوله: ((وبعث عساكر أخرى إلى نواحي برشلونة وما وراءها فعاتوا فيها وفتحوا حصون برشلونة))^(٢).

كما ذكر ابن عذاري أنه في سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م أرسل الأمير

=ص ٢٦٥ ؛ البهادلي، قطالونيا، ص ١٠٤.

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨٤.

(٢) العبر، ٤/١٣٦.

محمد حملة إلى مدينة برشلونة ، إذ تحدث قائلاً: ((وفي سنة ٢٤٢ ، كتب الأمير محمد إلى موسى بن موسى بحشد الثغور والدخول إلى برشلونة ، فغزا إليها ، واحتل بها ، وافتتح في هذه الغزاة حصن طراجة ، وهي من آخر أحواز برشلونة ، ومن خمس ذلك الحصن زيدت الزوائد في المسجد الجامع بسرقسطة ، وكان الذي أسسه ونصب محرابه حنش الصنعاني...))^(١).

أما ابن الأثير فقد أشار إلى هذه الحملة بشكل مختلف بعض الشيء إذ قال: ((وفيها سير محمد بن عبد الرحمن بالأندلس جيشاً إلى بلد المشركين ، فدخلوا إلى برشلونة ، وحارب قلاعها وجازها إلى ما وراء أعمالها فغنموا كثيراً وافتتحوا حصناً من أعمال برشلونة يسمى طراجة ، وهو من آخر حصون برشلونة))^(٢).

يمكن أن نستنتج من الروايتين أعلاه أن المسلمين تمكنوا دخول مدينة برشلونة لبعض الوقت ، إلا أنهم سرعان ما انسحبوا منها ، وربما لأسباب عدة منها اشتداد المقاومة النصرانية المتمثلة ببلاد الإفرنجية الذين يعدون برشلونة النقطة المتقدمة لهم لمواجهة المسلمين في الأندلس ، وما يؤدي عدم بقاء المسلمين فيها لمدة طويلة ، هو ما حدث في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م ، إذ هاجم المسلمون مدينة برشلونة وتمكنوا من محاصرتها ، ودخل الطرفان -الإسلامي والنصراني- في مواجهات شديدة ، وطلب كلا الطرفين من أبناء جلدتهم تقديم

(١) البيان المغرب، ٢/٩٥ - ٩٦.

(٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨٩.

العون والمساعدة لهم ، إلا أن هذه المواجهة تخضت عن سيطرة المسلمين على بعض أرباض المدينة وعلى برجين من أبراجها^(١). وقد وصف ابن الأثير ذلك بقوله: ((وفيها سار جيش للمسلمين بالأندلس إلى مدينة برشلونة ، وهي للفرنج ، فأوقعوا بأهلها فراسل صاحبها ملك الفرنج يستمده ، فأرسل إليه جيشاً كثيفاً وأرسل المسلمون يستمدون ، فأتاهم المدد ، فنازلوا برشلونة ، وقاتلوا قتالاً شديداً فملكوا أرباضها وبرجين من أبراج المدينة ، فقتل من المشركين بها خلق كثير ، وسلم المسلمون ، وعادوا وقد غنموا))^(٢). وبعد سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م وإلى نهاية حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني لم تزودنا المصادر بقيام حملات عسكرية للمسلمين على مدينة برشلونة ، ويعلل السامرائي ذلك بانشغال حكومة قرطبة بقمع حركات التمرد والعصيان التي قامت في منطقة الثغر الأعلى خلال هذه المدة بزعامة الأسر المتنفذة ، كما أن العلاقة بين الإفرنجية وحكومة قرطبة تحسنت خلال هذه المدة ، ففي سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م طلب الأمير محمد التفاهم مع ملك الإفرنجية شارل الأصغر من أجل إنهاء الخلاف بينهم ، وقد رحب ملك الإفرنجية بذلك ليتسنى إيقاف هجمات المسلمين على المناطق النصرانية التابعة له^(٣). كما ذكر المسعودي نصاً يشير إلى وجود علاقة سلم خلال هذه

(١) النويري، نهاية الأرب، ٢٢/١٠٧ - ١٠٨.

(٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٩٢.

(٣) الثغر الأعلى، ص ٢٦.

المدة بن ملك الإفرنجية والأمير محمد إذ قال: إن قارله بن لذريق تهادن مع الأمير محمد بن عبد الرحمن^(١) ، في حين ذكر ابن عذاري أن قورلش ملك الإفرنجية كان يسترجع عقل الأمير محمد فيهاديه ويتحفه^(٢).

ويبدو أن سياسة السلم لم تستمر طويلاً ، إذ سرعان ما بدأ نصارى برشلونة في نهاية عهد الأمير محمد (منذ سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م) بتحرشاتهم على المناطق الأندلسية ، خاصة بعد أن قام إسماعيل بن موسى بن قسي في السنة أعلاه بتجديد وتعمير وتحصين مدينة لاردة مركز نفوذه^(٣) ، فكان هناك رد فعل من قبل نصارى برشلونة ، لأنهم كانوا يخشون من أن تجديد بناء لاردة قد يجعل منها مركزاً حصيناً للمسلمين يهدد مناطق نفوذهم القريبة منها ، وعلى أثر ذلك قام حاكم مدينة برشلونة الإفرنجي بتحشيد قواته وسار بها نحو مدينة لاردة ، لمنع إسماعيل بن موسى من القيام بالتحصينات والبناء ، فدارت معركة بين الطرفين ، تمكن خلالها إسماعيل وقواته من دحر القوات النصرانية بعد قتل أعداد كبيرة من رجالها^(٤).

وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) استمر التوتر السياسي والعسكري بين المسلمين والنصارى ،

(١) مروج الذهب، ٢/٢٧٦.

(٢) البيان المغرب، ٢/١٠٨.

(٣) الحميري، صفة، ص ١٨٦.

(٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٣٧/٤.

فأخذت المواجهات العسكرية تظهر من جديد ، وكان لأسرة بني قسي دور كبير في مواجهة النصارى آنذاك ، وذلك بحكم توليهم أغلب مناطق الثغر الأعلى ، وهي مناطق احتكاك مع نصارى برشلونة ، لذلك كان على حكام بني قسي مواجهتهم ، ففي سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م قام زعيم بني قسي محمد بن لب بن قسي بمهاجمة حصن اورة الذي يقع في أحواز برشلونة ، فسيطر عليه ثم أحرقه ، والتقى بحاكم مدينة برشلونة الذي يعرف باسم عنقديد في مواجهة عسكرية انتهت بخسارة الأخير الذي أصيب نفسه بطعنة مات بسببها بعد أيام ، فتولى حكم مدينة برشلونة ابنه شنير(سنير) Sunier^(١).

وقد أشار ابن حيان إلى هذه الحادثة بقوله: ((وفيها غزا لب بن أحمد القسوي ، صاحب الثغر الأعلى ، حصن اورة من أحواز برشلونة ، قاعدة طاغية الفرنجة فتغلب عليه وأحرقه ونكا بالعدو ، التقى بعنقديد بن المنذر ، والد شنير قومس ذلك الصقع فهزمه وفض جمعه وأصاب لب الطاغية عنقديد ذلك اليوم في كفاحه له بطعنة مات منها إلى أيام ، وأجمل الله الصنع للمسلمين فيه وتولى مكانه ابنه شنير...))^(٢).

وفي نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أخذت أسرة بني الطويل مهمة الجهاد ضد الثغر الإفرنجي المتمثل بنصارى برشلونة ومنطقة بليارش وغيرها ، ففي ٢٩٠هـ / ٩٠٢م غزا محمد بن

(١) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٦٢ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ١/٢١٨ .

(٢) المقتبس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٤٩ .

عبد الملك الطويل بليارش وافتتح حصن أولايه من ناحية برشلونة وحصل فيه على غنائم كثيرة تقدر بثلاثمائة سبية ثم هدم الحصن وأحرقه^(١) ، وفي سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م أغار محمد الطويل على حصني بليارش وروطة من برشلونة ، إذ أشار ابن عذاري إلى ذلك قائلاً: ((وفيها ، خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى بليارش في شهر رمضان ، فقتل هنالك مقتلة عظيمة ، ووفد عليه رسل أهل حصن روطة Rota ، يرغبون الصلح ويسمحون بالرهائن والجزية ، فلم يجيبهم إلى ذلك ، فخرجوا هارين من الحصن ، وأخلوه ، وتقدم إليه ، فهدمه))^(٢) ، وأخيراً في سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م ، قام بمهاجمة أراضي مدينة برشلونة ، ووقعت معركة شديدة بينه وبين حاكم المدينة سنير بن عنقيد في وادي طراجة ، انتهت بانهزامه وقتل أعداد كبيرة من قواته^(٣) . وفي بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) ، تمكن نصارى برشلونة من السيطرة على زمام الأمور ، وتحقيق بعض النجاحات على حساب المسلمين ، ففي سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م ، قاد محمد عبد الملك الطويل حملة عسكرية إلى أحواز برشلونة ، وكان قصده بنيان ثلم سور طرطوشة ، وسرح خيله في بسيط برشلونة ، وبقي هو في بعض من خاصته ، فكمنوا له وهاجموه وأحاطوا به ، وتمكنوا من

١) العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٥٦ ؛ البهادلي، قطائونيا، ص ١٠٩ .

٢) البيان المغرب، ٢/١٤٤ - ١٤٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ٣٤٣ .

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٤٩ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١،

قتله ، فانسحبت قواته منهزمة إلى وشقة^(١).

كان على الساحة السياسية في منطقة الثغر الأعلى في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي العديد من الأسر المتنافسة على السيادة والنفوذ ، ومن أشهرهم بنو تميم وبنو قسي وبنو الطويل ، وكان نفوذ بني قسي أخذ في الأفول ، فدخل بنو الطويل وبنو تميم في صراع للاستحواذ على أملاكهم ، ولم يكن ذلك غائباً عن أنظار القوى النصرانية القريبة منهم لاسيما برشلونة ذات الأطماع الواسعة في المنطقة ، ففي سنة ٣٠٣هـ/٩١٦م قام محمد بن عبد الرحمن التجيبي صاحب سرقسطة من انتزاع حصن منتشون في لاردة من أسرة بني قسي ، فتصدى له عمرو بن محمد الطويل صاحب برشتر بعد أن طلب المساعدة من شانجة غرسيه الأول (Sacho Garcia I) (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦م) ، ملك النافار وبرباط بن ريمند صاحب بليارش من ناحية برشلونة وتمكن من السيطرة عليه^(٢).

كما قضى آخر أمراء بني قسي محمد بن لب حتفه على يد صاحب برشلونة على الرغم من مصاهرته له ، ذلك أنه بعد الهزائم التي لحقت بهم على يدي قوات الإمارة من جهة والنصارى من جهة أخرى ، انحصر نفوذهم في لاردة ومنطقتها وكان آخرهم بها محمد بن لب بن محمد بن لب بن موسى القسوي الذي ضبط

(١) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ٩٨؛ العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٦٦.

(٢) العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٤٢؛ البهادلي، قطالونيا، ص ١١٢.

حصن منت شون Monzon وحصن بلغى وبرشتر واستقر هو في لاردة، إلا أن أهل لاردة ثاروا عليه سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م وأخرجوه من مدينتهم وأدخلوا مكانه هاشم بن محمد التجيبي، فخرج إلى حصن بلغى فقام إليه أهل الحصن وطرده واستدعوا هاشم التجيبي، لجأ بعدها محمد بن لب إلى حصن أور في برشلونة فتعقبه هناك هاشم التجيبي، فرّ بعدها إلى وشقة وبقي طريداً إلى أن استدعاه صهره برياط بن ريمند حاكم بليارش في برشلونة للإقامة عنده إلى أن تتحسن الأوضاع وتسمح له الفرصة، فاطمأن إليه ولحق به، فأعجبه ما كان معه وأصحابه من السلاح والكراع والحلي فغدر به وقتله سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م وبذلك انتهت دولة بني قسي في الشجر الأعلى على أيدي صاحب برشلونة^(١).

(١) العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٤٠؛ البهادلي، قطالونيا، ص ١١٣.

ثانياً: الاشتباكات بين الطرفين في عصر الخلافة

(٣١٦ - ٤٢٢هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠م)

إن ازدياد نشاط نصارى برشلونة في منطقة الثغر الأعلى ومحاولات توسعها وتدخلها في شؤون الثغر، دعت الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى إلى محاولة استرجاعها من النصارى، وقام بعدة حملات عسكرية نحوها، إلا أنه لم يتمكن من ذلك وبقيت برشلونة خارجة عن حكم العرب المسلمين^(١)، وكانت الحدود بين المسلمين والنصارى في عهده - كما ذكر المسعودي - تمتد من مدينة طرطوشة إلى مدينة أفراغه Frada، قال: ((ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقى الإفرنجية، وهي أضيقت مناطق الأندلس))^(٢).

ويبدو أن فشل معظم الحملات البرية التي شنّها المسلمون على برشلونة قد دفعت الخليفة الناصر إلى محاولة استرجعها عن طريق البحر، ففي سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م خرج الأسطول الأندلسي في حملة

(١) أرسلان، التحلل السنديسية، ٢١٢/٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ١١١/١.

بحرية كبيرة باتجاه مدينة برشلونة بقيادة أمير البحر^(١) عبد الملك بن سعيد بن أبي حماسة ، وانطلقت من مدينة المرية Almeria مروراً بجزيرة ميورقه Mallorca ثم إلى مدينة برشلونة ، وكانت عدد مراكب الحملة أربعين مركباً ، منها عشرين حراقة فيها النفط والآلات البحرية ، وعشرين تحمل المقاتلين ، وعدد رجالها من الجند ألف رجل ، ومن البحريين ألفين ، فدارت بينهم حرب عظيمة من أول النهار إلى وقت صلاة العصر في مدينة بالش من أرض الإفرنجية ، ثم انهزم الإفرنج بعد أن قتل منهم ثلاثمائة رجل ، بعدها تقدم الأسطول إلى مدينة برشلونة ، قال ابن حيان: ((...فاعترضه على مقربة منها علع يقال له بليط ، في جمع معه ، خرج إليه المسلمون وقتلوه ، فقتلوا بليط وأكثر من معه ، واحتل الأسطول على مدينة برشلونة ، فحاربهم يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان ، وانقبضوا إلى المدينة ، وأغلقوا أبوابها على أنفسهم ، ودافعوا من أعلى سورها من ضحى يومهم إلى غروب الشمس ، وتقدم الأسطول عنهم يوم الخميس لإحدى عشر خلون من شعبان منها إلى وادي لبرقاط ، وعسكر الفرنجة يسايرهم على الساحل ، فخرج المسلمون إليهم ، لما أفحصوا واختلطوا ، فدارت بينهم حرب

(١) كان منصب أمير البحر واحداً من أهم المناصب في الدولة الأموية في الأندلس، حتى قيل عنه أنه قسيم الخليفة في السلطان، هذا يحكم البر وهذا يحكم البحر، وكان العاهل الأندلسي يطلب المشورة من ثلاثة قائد البحر وقائد الثغر الأعلى وقاضي الجماعة، ينظر: أرشيبالد، القوى البحرية، ص ٢٤١.

عظيمة ، انهزم عنها الإفرنج ، وانبسط المسلمون في البر ، وتقدم الأسطول قافلاً ، حتى احتل بمدينة طرطوشة قاصية بلد الإسلام ، سالمًا غانمًا ، فوافى كتاب الناصر لدين الله هناك إلى قائده ، عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة ، يأمره بالنهوض إلى سبتة وطنجة ، من عمل العدو ، لمحاربة من انتفض عليه من أهلها^(١) .

يتضح لنا من هذه الحملة قوة التحصينات التي أقامها النصارى على طول الساحل ولاسيما عند مدينة برشلونة ، إذ لم يتمكن المسلمون اقتحام المدينة لمناعة أسوارها ، وهو ما اضطر الأسطول الإسلامي إلى الانسحاب نحو ثغر طرطوشة مكتفياً بما حصل عليه من غنائم وما ألحقه بالعدو من إصابات.

ومن أجل أخذ الثأر ، فقد قام الإفرنج بالاشتراك مع نصارى برشلونة بمهاجمة مناطق الثغر الأعلى الأندلسي بعد سنة واحدة من هذه الحملة أي في سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م ، إلا أن المسلمين تمكنوا من إنزال خسائر فادحة بهم ، وهو ما أكده ابن حيان بقوله: ((وجاشت الفرنجية أيضاً في هذا الوقت بالثغر الأعلى ، راجين بانتهاز فرصة يصيبيونها ، فخرجوا على المسلمين مع صاحب برشلونة ، دمرها الله ، ومن انضاف إليهم من حشد الجرائد وغيرهم ، في جمع كثير ، فجرد إليهم القائد أحمد بن محمد بن إلياس^(٢) ، الرابط

(١) المقتبس (للمقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٦٦ - ٣٦٨ .

(٢) يعود نسب أحمد بن محمد بن إلياس إلى قبيلة مغيلة البربرية، وكان جده إلياس أحد قواد البربر البارزين الذين دخلوا الأندلس مع جيش طارق بن زياد، =

على حصار مدينة سرقسطة ، فيمن كان معه من جند السلطان ورجال الثغر ، ووقعت بينهم حرب شديدة ، صبر فيها المسلمون صبراً عظيماً ، فرزقهم الله النصر ، وهزم أعداء الله المشركين ، فقتلوا أبحر قتل ، وأماتهم التضاعط ، وقتلتهم الغمة ، وذهب النهر الذي التقوا عليه بأمة منهم ، وأكلت الأرض كثيراً منهم ، واستوت الخنادق من قتلاهم ، ومزقوا كل ممزق ، وكانوا جماع ألوف ، فعظم الفتح فيهم ، وكانت هذه الواقعة في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شوال من هذه السنة ، وبعث القائد أحمد بن محمد بن إلياس مما حيز من رؤوس أعلامهم إلى باب سدة قرطبة بألف وثلاث مائة رأس ، وأتى القتل والغرق على عشرة آلاف وأكثر منهم...^(١)

ويبدو أن حكومة مدينة برشلونة فيما بعد استقلت عن الإفرنجية ، بسبب ضعف الأخيرة ، إذ تخلت عن حماية الثغر

= أما عن أحمد نفسه، فقد التحق بخدمة الخليفة عبد الرحمن الناصر، وتدرج في المناصب القيادية حتى عينه قائداً على الجزائر الشرقية سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م، ثم عين والياً على مدينة طرسونة سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م، وفي العام التالي عين على مدينة وشقة، وبعد انتصاره على صاحب برشلونة في الحملة أعلاه ولاه الخليفة الناصر الوزارة، وتمتع بمكانة كبيرة عنده، حتى أنه في سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م عندما عزل الخليفة جميع وزرائه لم يبق منهم إلا أحمد بن محمد بن إلياس وكذلك أحمد بن عبد الملك بن شهيد، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٨٥، ٣٥٦، ٣٧٩ - ٣٨٠، ٣٩٠، ٤٢٥، ٤٥٦، ٤٧٠؛ ابن حزم، جمهرة نساب العرب، ص ٤٩٩؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ٧٩.

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

وإمداده ، لذلك شعر كونتات برشلونة بقوتهم تجاه الإفرنج ، ونأيهم عن الحكومة المركزية ، وأعلنوا استقلالهم ، وانقسم الثغر القوطي إلى عدة إمارات أو كونتيات صغيرة ، وكان أهمها إمارة برشلونة^(١) ، وأصبح لنصارى برشلونة علاقات مع المسلمين في الأندلس ، لاسيما مع الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد الربع الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(٢) ، وبما يؤيد ذلك أن محمد بن رماحس قائد أسطول المرية كان قد خرج في حملة بحرية سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م وجه بها إلى طرطوشة ومنها انصرف إلى برشلونة((فألقى بها أميناً كان قد توجه إلى صاحبهم مع رسله القادمين لطلب الصلح ، فأمرهم الأمين أن لا يعترض لها(أي برشلونة) ولا لأهل ساحلها ، فانصرف قافلاً إلى طرطوشة ، وتوجه منها إلى قرطبة))^(٣) ، وهذا يعني أن ترتيبات الصلح كانت قد عقدت في برشلونة مع وفد إسلامي أرسلته حكومة قرطبة إلى هناك ، وأثناء ذلك حاول قائد البحر محمد بن رماحس مهاجمة سواحل برشلونة إلا أن زعيم الوفد منعه من ذلك وأخبره بأن مساعي للصلح جارية بين الطرفين ، ثم غادر أعضاء الوفد إلى قرطبة ، ربما لاطلاع الخليفة الناصر على شروط الصلح.

وقد ردّ الخليفة الناصر على ذلك بأن أرسل كاتبه حسداي بن

(١) عنان، دول الطوائف، ص ٣٩٣.

(٢) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٦٦.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨١.

إسحاق الإسرائيلي إلى صاحب برشلونة شنير بن غيفريد وهو يحمل شروط الخليفة ، ويبدو أن الخليفة قد عمل على فرض شروطه على صاحب برشلونة بقوة السلاح وتحت التهديد ، ففي الوقت الذي وصل فيه كاتبه حسداي إلى برشلونة كان قائد الأسطول إبراهيم بن عبد الرحمن البجاني مربوطاً بسفنه الحربية أمام ساحل برشلونة ، وعندما تم عقد الصلح ذهب حسداي إلى صاحب الأسطول وأعلمه بحصول الاتفاق ، واستكفهم عن الحرب فرحل الأسطول من يومه عن مرسى برشلونة^(١).

وأشار ابن حيان إلى شروط الصلح التي عقدت بين الجانبين في سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م بقوله: ((ثم قدم حسداي بن إسحاق الإسرائيلي على الناصر لدين الله من برشلونة في عقب ذي القعدة منها ، بعد أن أحكم ذلك كله ، ومعه غدمار رسول شنير ، على الشروط التي اشترطها عليه ، وأولها أن يتخلى عن إمداد جميع النصرانية الذين ليسوا في سلم الناصر لدين الله ، ومؤالفتهم ، ويلزم طاعته ، ويطلب رضاه ، ويحل الصهر الذي بينه وبين غرسيه بن شانجه ، صاحب بنبلونة ، وقد كان شنير زوجه بنته ، ففسخ نكاحها طاعة للناصر لدين الله ، وتضمن أن يدخُل مع نفسه كل من يستنيم إليه من هذه المواضع التي تجاوره ، فأنفذ الناصر لدين الله لشنير ذلك كله ، وأنفذ عهوده به إلى عمال السواحل وقواد الأسطول ، وأمر بتحامي

(١) ابن حيان، (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٥٤.

أعماله ومسالمة أهل بلاده ، وعقد الناصر لدين الله أمان شنيير ذلك كله هذا وسلمه ، وسلم سنفيد وأولادهما معاً لعامين كاملين ، وأشهد على ذلك كله في مجلس حفله يوم الأربعاء لاثنتي عشرة خلت من ذي الحجة منها))^(١).

وفي العام التالي (أي سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) أرسل أمير برشلونة شنيير إلى قرطبة رسولاً إلى قرطبة لتأكيد العهد أعلاه ، فذكر ابن حيان أنه ((في شعبان منها قدم على الناصر لدين الله سندريط رسول شنيير بن غيفريد صاحب برشلونة ، وابن عمّه ، مجدداً لعهد مؤكداً لطاعته ومعه هدية حسنة من طرائف بلده ، فأوصله الناصر لدين الله إلى نفسه وقبل هديته ، وأكرم مثواه ، وضاعف مكافأته))^(٢).

وهكذا فقد أدركت أسرة شنيير الحاكمة في برشلونة أن بعدها عن بلاد الإفرنجية وقربها من حكومة قرطبة القوية التي كانت لا تتردد في استخدام القوة ضدها سواء من البر أم البحر ، جعلها تحافظ على معاهدات الصلح وتنفيذها بكل دقة حتى وصل بهم الحد أن فرض عليهم الخليفة الناصر من يصاهر ومن يفارق.

وفي سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م كاتب الخليفة الناصر نفسه حكام الإفرنجية ومنهم أمير برشلونة بتجديد سياسة السلم والمودة ، والانضمام والتعاون مع عامله على الثغر محمد بن هاشم التجيبي ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((... وكتب بمثل ذلك إلى ملوك الفرنجة

(١) (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٥٥.

(٢) (المقتبس) (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٦٩.

الداخلين في السلم والولاية شنيير بن غيفريد صاحب برشلونة ،... ،
فخرج محمد بن هاشم إلى عمله بالثغر بهذه الحال الرفيعة^(١) .
وفي سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م وصلت إلى قرطبة سفارة على رأسها مندوب
من برشلونة وطركونة يدعى جوفري ذي الشعر الطويل وهو من أسرة
شنيير صاحب برشلونة^(٢) ، ولعلها كانت تهدف إلى تجديد الصداقة
والسلم بين الجانبين ، وفي سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، عقد حاكم برشلونة
شنيير معاهدة صلح مع الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وتبادلت برشلونة
السفارات مع قرطبة ، وقد أبدت سفارة برشلونة استعداد النصارى
لتقديم الطاعة وتلبية رغبات الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٣) .

كما ذكر ابن خلدون عن قدوم سفارة إلى بلاط قرطبة من قبل
مغيرة بن شبير(لعله شنيير) ملك برشلونة وطركونة ، راغباً في الصلح
مع المسلمين ، فقبل الخليفة ، وكان ذلك في سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م^(٤) .
ولم تكشف المصادر المتوفرة لنا عن مضمون الصلح الذي تم بين
الطرفين الإسلامي والنصراني في السفارة الأخيرة ، إلا أنه يمكن
تلمس ذلك من مجموعة من النتائج :

١- عقد السلم بين الطرفين والتعهد بعدم الاعتداء على الآخر ،
وهذا ما تم بالفعل حتى نهاية عهد الخليفة الناصر.

(١) (للحقيبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٧٤ .

(٢) البهادلي، قطائونيا، ص ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩ .

(٤) العبر، ١٤٨/٤ .

٢- يتضح من رواية ابن خلدون أن كلاً من مدينتي برشلونة وطركونة كانتا تحت حكم مغيرة بن شبير ، وهذا يعطينا دافعاً بأن نرجح تبعية طركونة إلى برشلونة في تلك المدة وأن الخليفة الناصر كان يطمع إلى اقتطاعها من برشلونة وضمها إلى نفوذه.

٣- أشار أحد الباحثين إلى أن الخليفة الناصر استرد مدينة طركونة من حاكم برشلونة سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م وقام بتعمير مسجدها^(١) ، ولعل ذلك كان ضمن شروط المعاهدة أعلاه ، لأنها منطقة تقع على الحد بين المسلمين والنصارى ، قال عنها الحميري ((وفي هذه المدينة يكمن المسلمون عند طلب الفرصة في الغزو ، وفيها يكمن العدو أيضاً للمسلمين))^(٢).

وفي بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) حدثت بعض التوترات السياسية بين المسلمين والنصارى ، وذلك بسبب تلك الأخرين في الالتزام بمعاهدات الصلح التي أبرمها مع الخليفة الناصر ورفضهم تسليم الحصون المتفق عليها ، فعقدوا تحالفاً ضم ملك ليون وأمير قشتالة وملك نافار وكونت برشلونة ، وكانت برشلونة بقيادة أميرها بوريل بن سنير Borrel (٣٤٣-٣٨٢هـ / ٩٥٤-٩٩٢م) ومعاونه ميرون Miron^(٣) الذين انضموا إلى التحالف

(١) البهادلي، قطالونيا، ص ١١٩.

(٢) صفة، ١٢٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٤/١٤٩؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٢/٦٥؛ الحجوي، أندلسيات، ٢/٨٦.

النصراني سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م ، وقاموا بالاعتداء على المناطق الإسلامية في الأندلس ، إلا أن المسلمين سرعان ما تمكنوا من أخذ المبادرة وتكبيدهم خسائر كبيرة^(١) ، وقد استمرت حملات المسلمين ما بين سنتي ٣٥٢-٣٥٣هـ / ٩٦٣-٩٦٤م^(٢) ، ففي سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م أرسل الخليفة الحكم خيرة قادته في الثغر الأعلى إلى مدينة برشلونة لمعاقبها ونكثها العهود السابقة ، فذكر المقرئ أنه ((...أغزى الحكم أحمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي إلى بلاد برشلونة ، فعاثت العساكر في نواحيها ، وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالباً إلى بلاد القومس ، فعاثا فيها ، وقفلا ، وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية...))^(٣).

عندها شعر النصارى بأهمية قوة المسلمين فمالوا إلى المهادنة وإرسال السفراء لتجديد المعاهدات السابقة^(٤) ، وتحدث ابن خلدون عن قدوم سفارات من برشلونة وطركونة إلى قرطبة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ، إلا أن هذه المرة كانت سفارات المدينتين (طركونة وبرشلونة) منفصلة الواحدة عن الأخرى ، وربما أعلنت كليهما الانفصال وفك تبعيتهما عن الأخرى ، بدليل حكم كل منهما أمير مستقل مثل مدينته في السفارات التي أرسلت إلى الخليفة الحكم المستنصر ، وقد علق على

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٣٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٤٩.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق، ٢، ص ٤٤٥.

٣) نوح الطيب، ١/٣٨٣ ؛ ينظر أيضا: البيهاتلي، قطالونيا، ص ١٢١.

٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٨٤ - ١٨٥.

ذلك ابن خلدون بقوله: بعث ملكاً ((برشلونة وطركونة وغيرها يسألان تجديد العهد ، وإقرارهما على ما كانا عليه ، وبعثا بهدية وهي عشرون صبيّاً من الخصيان الصقالبة ، وعشرون قنطاراً من الصوف السمور ، وخمسة قناطير من الفرصدس ، وعشرة أذراع صقلية ، ومائتا سيف إفريقية ، فقبل هديتهم وعقد لهم على أن يهدما الحصون التي بقرب الثغور ، وعلى أن لا يظاهروا عليه أهل ملّتهم وأن يندروه بما يكون من النصرارى في الإجلاب على المسلمين))^(١).

أما رواية ابن حيان على هذه السفارة ، فقد اقتصر على ذكر حاكم برشلونة بوريل بن سنير Borrell Saunier فقط ، ولم يتطرق إلى سفير حاكم طركونة ، إلا أنه أضاف إلى الهدية ثلاثين مسلماً أسيراً بين رجال ونساء وأطفال ، بقوله: ((...من التقرب إليه بإهدائه إليه ثلاثين أسيراً من أسارى المسلمين جمعهم في قاعدته وأطراف عمله من ذكر وأنثى ، إذ أعلم أن ذلك أفضل ما يسر به أمير المؤمنين ويتهج به ويكافئ عليه ،...))^(٢) ، وقد أظهر الخليفة الحكم المستنصر استعداداه ورغبة حكومة قرطبة في توثيق العلاقات الطيبة والسلام الدائم مع النصرارى^(٣).

وفي شوال سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م أرسل حاكم برشلونة بوريل سفارة

(١) العبر، ٤/١٥٠؛ ينظر أيضاً: المقرئ، نضح الطيب، ١/٣٨٤ - ٣٨٥.

(٢) المقتبس (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ٢١.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٤/١٥٠؛ وينظر: العتبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص ٤١١.

أخرى إلى الخليفة الحكم المستنصر ، وكانت برئاسة غيتار Guitardo ، وقد تحث ابن حيان عن هذه السفارة بالقول: ((...ودخل بدخوله رسول طاغية برشلونة بريل بن شنير وهو غيتار صاحب مدينة برشلونة كبير أصحابه في نفر من أتباعه بكتاب إلى أمير المؤمنين يذكر محبته وصاغيته وغبطته بسلمه وابتغاء تجديدها ،...))^(١).

وفي السنة نفسها (أي سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) وصلت سفارة أخرى من حاكم مدينة برشلونة بوريل وكانت برئاسة غيتار أيضاً ، وقد سلم رسالته إلى الخليفة الحكم المستنصر يؤكد فيها حرصه على الصداقة والوفاء بالعهد^(٢) ، وقد وصف ابن حيان ذلك بقوله: ((وفي يوم السبت لتسع خلون من ذي القعدة جلس أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء جلوساً فخماً قامت المراتب له بداخل القصر وخارجه ،... ، فأوصل إلى نفسه رسول طاغية برشلونة غيتار صاحب مدينة برشلونة لأميها بريل بن شنير فأوصل كتابه وتألّى عليه بالتزامه الطاعة واستقامة طريقته...))^(٣) ، وفي سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م أرسل حاكم مدينة برشلونة بوريل سفارة إلى الخليفة الحكم المستنصر لتوطيد الصداقة والسلام بين قرطبة وبرشلونة ، وقد استقبلها الخليفة بكل حفاوة واحترام ، ولعل تكرار السفارات هذه تعكس قلق حاكم برشلونة وضعفه أمام قوة الخلافة في قرطبة التي لم تتوانى في استخدام القوة

(١) المقتبس، (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ١٦٨.

(٢) الحجي، أندلسيات، ١٠٢/٢.

(٣) المقتبس، (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ١٨٢.

ضد كل من يحاول العبث في حدودها.

وخلال خلافة هشام بن الحكم المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) ، برز دور محمد بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠١م) كأحد الشخصيات المهمة في الدولة ، ثم ابنه عبد الملك المظفر (٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠٠١-١٠٠٨م) ، اللذان كان لهما دور كبير في تثبيت السيادة الإسلامية في معظم مناطق الأندلس.

إن أهم ما يميز شخصية المنصور محمد بن أبي عامر هي السياسة الجهادية التي اعتمدها ضد النصارى ، إذ أحصيت الحملات التي سيرت ضد النصارى فبلغت أكثر من خمسين حملة^(١) ، ولعل المنصور كان يقوم بحملتين كل سنة ، حملة في الصيف وأخرى في الشتاء^(٢) ، وأن جميع هذه الحملات كانت تحت قيادته^(٣).

وكان لبرشلونة نصيباً من هذه الحملات ، إذ اختلف محمد بن أبي عامر عما سبقوه في سياسة السلم مع حكام برشلونة ، وبدأ بشن حملات عدة ضدها ، وربما كان الغرض من ذلك هو إخضاعها ليتسنى له ضمها إلى حدود الدولة الإسلامية في الأندلس ، لذلك

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٦٦ ؛ ابن عذاري، البيان

المغرب، ٣٠١/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤ .

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٢ ؛ وات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية،

ص ٩٥ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤ .

مارس نشاطه العسكري مع بداية ظهوره على المسرح السياسي ، إذ قام بتجهيز حملة عسكرية سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م باتجاه مدينة برشلونة ، وعرفت غزوته هذه عند مؤلف مجهول باسم غزوة الدالية ، وهي منطقة تابعة إلى مدينة برشلونة ، وتم فيها فتح حصن الدالية وحصن مولشر ، بعدها رجع محمد بن أبي عامر بثلاثة آلاف سبية^(١) ، وأطلق العذري على هذه الحملة اسم غزوة الفابرة إذ جمعت بين مدينة بنبلونة وبسيط برشلونة ، وقد استغرقت حملته هذه ما يقارب ثمانية وثلاثين يوماً ، وحققت نجاحات كبيرة^(٢) ، وعدت هذه الغزوة عند مؤلف مجهول بالغزوة الرابعة لمحمد بن أبي عامر^(٣).

ومن الحملات الأخرى للمنصور بن أبي عامر التي توجهت إلى برشلونة هي غزوة شنت بلبق الثانية وبسيط برشلونة ، التي وقعت في سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م ، وعلق عليها العذري بقوله: ((وغزا محمد بن أبي عامر شنت بلبق مرة ثانية وبسيط برشلونة ، وكانت صائفة ذات دخلتين الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة أربع وسبعين وثلثمائة ،... ، وعاد لثمان خلون من ربيع الآخر منها إلى سبعين يوماً))^(٤).

أما مؤلف مجهول ، فقد عدها الغزوة الثانية والعشرون للمنصور

(١) تاريخ الأندلس، ص ٢٧٧.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٧٥.

(٣) تاريخ الأندلس، ص ٢٢٧.

(٤) ترصيع الأخبار، ص ٧٩.

بن أبي عامر ، وتحدث عنها بقوله: ((الثانية والعشرون غزوة شنت بلبق أيضاً: نصب عليها المجانيق ، وقاتلها ليلاً ونهاراً حتى فتحها عنوة ، فأخذ فيها من السبي والغنائم ما لا يحصى وهدمها ، وانصرف إلى برجلونة يقتل ويخرب))^(١).

كما ذكر ابن الأبار حملة قادها المنصور ابن أبي عامر إلى مدينة برشلونة أيضاً سنة ٥٣٧٤هـ / ٩٨٤م ، وكان يحكمها بوريل الثاني Borrell II ، واتخذت هذه الحملة الطريق المار من مدينة البيرة Elvira إلى بسطه Baza إلى لورقة Lorca ومنها إلى مرسية Murcia ، فأقام عند الأخيرة ثلاثة وعشرين يوماً ، ومن ثم توجه إلى مدينة برشلونة^(٢).

ولا نستبعد أن شارك أهالي هذه المدن في الحملة التي مرت على مناطقهم ، وما يدل على ذلك هو نزول القوات العسكرية في مدينة مرسية قبل التوجه إلى برشلونة ، ويبدو أن المدة الزمنية التي استقر فيها كافية لتجميع القوات وانضمامها إلى حملة المنصور بن أبي عامر والمشاركة فيها.

وقد شارك الشعراء في هذه الحملة إلى جانب المقاتلين ، إذ بلغ عددهم ٤٠ شاعراً ومن أبرزهم الشاعر ابن الدراج القسطلي ، وصاعد ابن الحسن البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص^(٣) ، ولعل

(١) تاريخ الأندلس، ص ٧٩.

(٢) الحلة السيرة، ٢/٣١٢ - ٣١٣ ؛ وينظر: دوزي، المسلمون في الأندلس، ٢/١٢٢؛

سالم، تاريخ المسلمين، ص ٣٣٢.

(٣) ابن الدراج القسطلي، ديوان ابن الدراج القسطلي، ص ٣٨.

الغرض من هذه المشاركة هو زيادة حماس المقاتلين من خلال إلقاء القصائد الحماسية التي تحفزهم على مقاتلة أعدائهم ، فضلاً عن أن مرافقة الشعراء يكسوها بعداً إعلامياً ، ودليلاً على اهتمام المنصور بن أبي عامر بالإعلام الحربي لما له من أهمية في كسب الرأي العام. وقد وصف العذري هذه الحملة بقوله: ((وغزا محمد بن أبي عامر برشلونة ، وكانت صائفة مفردة ، الثلاثاء لاثني عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، ولخمس أيام خلت من شهر مايه ، وعاد إلى ثمانين يوماً))^(١).

أما مؤلف مجهول فقد عدها الغزوة الثالثة والعشرون للمنصور بن أبي عامر ، وعلق عليها بالقول: ((الثالثة والعشرون غزوة برشلونة ، نزل عليها فحاصرها ، ونصب عليها الخنازير ، فكان يرميهم برؤوس الروم عوضاً من الحجارة ، كان يرمي عليها كل يوم ألف رأس حتى فتحها عنوة ، فسبى منها سبعين ألف رأس من النساء والأولاد))^(٢).

كما تحدث ابن الكردبوس عن شجاعة المنصور بن أبي عامر وقيادته للحملة بقوله: ((ثم سميت به همته وشجاعته إلى قود العساكر التي هي في طاعته ، وغزو بلاد الروم إلى أن ذل منها كل صعب غير مروم ، ففتح الله على يديه ، وفتح برجلونة... ، وسبى أهلها وخربها وغنم منها غنائم كثيرة من عبيد وخدم ومال وسلاح

(١) ترصيع الأخبار، ص ٨٠.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩.

وثياب وبهائم ، وآب إلى قرطبة سالماً غانماً ظافراً...^(١).
وقد جعل ابن الخطيب تاريخ هذه الغزوة في سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م
كما تحدث عن هذه الحملة بالقول: إن المنصور بن أبي عامر قد
اخترق بقواته منطقة قتلونية وتمكن من هزم قوات أميرها الكونت
بوريل في أواخر شهر يونيه ، وأشرف على ظاهر مدينة برشلونة في
اليوم الأول من يولييه ، ولم تمض أيام قلائل حتى اقتحم الجيش
الإسلامي المدينة ، وتمكنوا من الدخول إليها في يوم الاثنين منتصف
صفر سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م^(٢).

وعن ظاهرة حرق مدينة برشلونة وتدميرها استعرضت إحدى
الباحثات ما قيل في ذلك بالقول : ذكر باحث أندلسي ، أنه لم
تستمر برشلونة طويلاً في يد المسلمين ، ذلك أن الإفرنجية انتهزوا
فرصة انشغال الحاجب محمد بن أبي عامر في حملة له على
بنبلونة سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م ، إذ سار جيش من الإفرنجية إلى برشلونة
تعاونته في ذلك سفن بحرية حتى استولى عليها ، ويقول باحث آخر
أن الحاجب محمد بن أبي عامر قد هاجم برشلونة وقام بنهبها
وتدميرها حتى يجبر حاكمها على قطع علاقاته مع الملوك الإفرنج
حيث أن حقوقهم الإقطاعية فقدت قوتها الشرعية بعد أن اختفت
السلالة أو الأسرة الكارولنجية من جهة ، ثم إن حاكم برشلونة
أصبح رئيساً لحكام مدن قطلونية وقام بتنظيم العلاقات مع

(١) تاريخ الأندلس، ص ٦٣.

(٢) الإحاطة، ١٠٥/٢ - ١٠٦.

المسلمين ، وفي الوقت نفسه أراد أن يثبت حقوقه الإقطاعية في المدن التي كانت تعترف بسلطته من جهة أخرى في حين يذهب باحث أندلسي آخر بقوله أن كل حكام الأندلس ، بما في ذلك الحاجب محمد بن أبي عامر بكل ما أظهره من ذكاء وحنكة وبراعة في القتال كما في السياسة ، باتوا أسرى سياسة الصوائف والشواتي كما وضعها أوائل ولاة وأمرء الأندلس باسم الجهاد كهدف لذاته ، عاجزين عن تطوير مفهومها مقصرين عن جعلها ذات مردود إيجابي على الأرض^(١).

ووصف عنان أحوال المدينة بعد دخول المسلمين إليها بالقول: ودمر المسلمون المدينة ، وأحرقوها ، وقتلوا معظم أهلها ، وتركوها قاعاً صفصفاً ، وكان من بين الأسرى اودلرادو نائب كونت برشلونة ، فاقتيد إلى قرطبة ، حيث قضى في الأسر أعواماً طويلة ، والظاهر أن المنصور لم يحاول الاحتفاظ بمدينة برشلونة ، ولم تكن لديه نية افتتاحها بصورة دائمة ، ولكنه قصد أن يدمر قوى النصارى في هذا الطرف النائي من شبه الجزيرة الأسبانية^(٢).

ونحن لا نتفق مع ما ذهب إليه عنان من أن المنصور بن أبي عامر لا يريد الاحتفاظ بمدينة برشلونة ، ولم تكن لديه نية ضمها لدولته ، ولعل المنصور كان أعلم بخطورة هذه المنطقة ، وربما كانت تشكل تهديداً كبيراً لقواته لو استقرت في المدينة ، إذ أن هذه

(١) البهادلي، قطائونيا، ص١٢٦.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٤٩٢.

المدينة تعد من المناطق الشغرية الحاذية لبلاد الإفرنجية ، وبذلك تكون مصدر قلق على المسلمين من جانب الإفرنجية الذين تربطهم بهذه المدينة علاقات متينة ، وبالتالي يسهل عليهم مهاجمة المسلمين فيما لو استقروا فيها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر وهو الأهم ، هو عدم ولاء أهلها للمسلمين ، إذ أن أغلبهم من النصارى الذين يدينون بولائهم للإفرنجية ، وبالتالي يصعب على المسلمين التعامل معهم والسيطرة عليهم ، ولهذا اضطر المنصور إلى الانسحاب منها مكتفياً بما حققه من نصر كبير وما حصل عليه من غنائم وما أكسبه من سمعة واسعة ، ومما يدل على ذلك هو أن المنصور مكث بعد هذه الغزوة سبعة عشر عاماً وغزا خلالها أكثر من خمسة وعشرين غزوة لم يكن لبرشلونة منها نصيب فكانت الغزوة الأخيرة له عليها حتى وفاته.

توفي المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠١م وخلفه في منصبه ابنه عبد الملك المظفر ، ولم تتوقف الحملات العسكرية في أيامه ، وقد وصف ابن الخطيب حملاته ضد النصارى بقوله ؛ ((وله في الروم وسبيل الجهاد آثار كريمة ، غزا سبع غزوات ، منها إلى برجلونة وبلاد الفرنجة ، ومنها إلى بنبلونة ، ومنها إلى غليسية ، ومنه غزوة الخريقة ، ومنها غزوة قلوبنية ، وآخرها التي مات قافلاً عنها))^(١). كانت أولى الحملات العسكرية للمسلمين في عهد عبد الملك

(١) أعمال الأعلام، ق٢، ص٨٧.

المظفر بن المنصور إلى مدينة برشلونة ، ويبدو أن المدينة أخذت بعض الوقت لتستعيد عافيتها منذ سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م بعد انصراف المنصور بن أبي عامر عنها ، وبعد وفاة المنصور تنفس ملوك النصارى الصعداء إذ ظنوا أن الغزوات الإسلامية قد تخبو في ظل القيادة الجديدة ^(١) ، وكان أمراء برشلونة قد بدت منهم نزعة العدوان في أواخر أيام المنصور بن أبي عامر ^(٢) ، فأخذ بالإعداد الجيد وحشد المقاتلين لها ، وقد شارك المغاربة فيها ، إذ وفد على بلاد الأندلس أعداد كبيرة من المتطوعين للمشاركة في هذه الحملة ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((وأظهر عبد الملك الجد في أمر هذه الغزوة غرة رجب من السنة ودفع في دفع المعاريف والصلوات إلى طبقات الأجناد الغازين معه أولاً ، ووافت الحضرة لأول هذا الوقت طوائف كثيرة من مطوعة العدو المجاهدين للحسبة فيهم جماعة كبيرة من أمرائهم وزعمائهم ، وعصابة كبيرة من فقهاءهم ، يبغون مشاهدة هذه المحتفل لها في هذه السنة فتسابقوا إلى الورد قبل حضورها بمدة)) ^(٣).

بدأت الاستعدادات العسكرية للحملة ، وقام عبد الملك المظفر بصرف التجهيزات العسكرية للمقاتلين ((بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٥٥٦.

(٢) البهادلي، قطائوني، ص١٢٧.

(٣) البيان المغرب، ٤/٣.

الدارعين))^(١) ، كما عمل على تشجيع المقاتلين المغاربة ودعمهم مادياً ومعنوياً ((فأطلق لهم عند تكاملهم ببابه نحو ١٥ ألف دينار عيناً صلة لهم وزعها عليهم بحسب مقاديرهم معنونة على جهادهم قبلوها منه بالتأول وتخرج آخرون ممن وافى معهم عن فعلهم واتصل ورود إمداد المطوعة من كل قوم وكل ناحية فتكاملت الحشود بالحضرة ودنا من وقت الحركة فوق الجدد وصب المال صباً،...))^(٢).

فخرج عبد الملك المظفر من مدينة الزاهرة Azzahira في شعبان من سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م في مشهد كبير ، ووصف لنا ابن عذاري مشهد خروجه لمقاتلة نصارى برشلونة بقوله: ((...فكان خروجه على باب الفتح الشرقي من أبواب مدينة الزاهرة وقد اجتمع الناس لرؤيته فخرج عليهم شاكمي السلاح ، في درع جديدة سابعة ، وعلى رأسه بيضة حديد مثمثة الشكل مذهبة شديدة الشعاع ، وقد اصطفت القواد والموالي والغلمان الخاصة في أحسن تعبئة ، فساروا أمامه ، وقد تكنفه الوزراء الغازون معه ،...))^(٣).

سار إلى طليطلة ومنها إلى مدينة سالم Medinaceli ، وفي هذه المدينة انضمت إليه بعض القوات ، ثم تابع سيره إلى منطقة الثغر الأعلى ، فاستراح أياماً في سرقسطة ، ثم غادرها قاصداً مدينة

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٣ ؛ وينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢،

ص ٨٧.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٣.

٣) البيان المغرب، ٥/٣.

برشلونة ، وأشرف على سلسلة من الحصون القوية ، إذ استولت بعض قواته على مدينش ، وحاصر حصن مخصص القريب منه ، وتمكن من الاستيلاء عليه بعد قتال شديد ، وأباد حاميته ، وعاث جيشه بعد ذلك في بسائط برشلونة ، وخربوا كثيراً من حصون المدينة ، واستولوا على الكثير من الغنائم والسبي^(١) .

قضى عبد الملك المظفر وقواته عيد الفطر في بسائط برشلونة ، واحتفل بالعيد احتفالاً فحماً ، واستقبل طبقات الأجناد مهنيين ومسلمين ، وبعث من معسكره رسالتين إلى مدينة قرطبة من إنشاء كاتبه أحمد بن برد يصف فيها الفتح ، إحداهما إلى الخليفة هشام المؤيد ، والثانية لتقرأ على عامة الناس في جامع قرطبة^(٢) ، إذ بلغ خسائر نصارى برشلونة حسب ((ما تضمنه كتاب الفتح من عدد السبي خمسة آلاف وخمسمائة وسبعين رأساً ، وعدد الحصون التي افتتحت عنوة فقتلت مقاتليها وسبيت ذراريهم وغنمت أموالهم ستة حصون ، وعدة الحصون التي أخلاها العدو خمسة وثمانون حصناً وكلهم مسمون في كتابه ،...))^(٣) .

وعلق ابن بسام على هذه الحملة بالقول: ((وصمد عبد الملك بلد الإفرنجة إذ لم تزل عند ولاة الأندلس مبدأ كل علة ، فاستعد لقصدهم ، واقتحم أرضهم في جموعه وأوغل في بسائط برشلونة ،

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ٥/٣ - ٦ .

(٢) المصدر نفسه، ٧/٣ - ٨ ؛ وينظر: الصويغ، تاريخ العرب في أسبانيا، ص ٦٨ .

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ٨/٣ .

وحطم غير ما مدينة وعاد قافلاً سالماً غانماً،...))^(١).

كانت سياسة عبد الملك المظفر تجاه برشلونة تختلف عن سياسة أبيه ، إذ أن أباه عندما دخل برشلونة خربها وحرقها ثم انسحب منها ، أما عبد الملك فإنه سعى إلى ترغيب المسلمين للسكن في المناطق التي فتحها ، وفي ذلك قال ابن عذاري: ((... ، وعهد الحاجب وقت الفتح إلى المسلمين ألا يحرقوا منزلاً ولا يهدموا بناءً ، لما ذهب إليه من إسكان المسلمين فيه ، فشرع للوقت في إصلاحه ، ونادي في المسلمين من أراد الإثبات في الديوان بدينارين في الشهر على أن يستوطن في هذا الحصن فعل ، وله مع ذلك المنزل والمحرق ، فرغب في ذلك خلق عظيم واستقروا به في حينهم))^(٢) ، وعليه فإن عبد الملك المظفر كان ينوي فتحاً منظماً لبسائط برشلونة ثم للمدينة نفسها عن طريق تهئية وسائل العيش من منزل وأرض وأدوات للزراعة وراتب شهري.

وبعد تحقيق الحملة أهدافها ، رجع عبد الملك بقواته عن طريق مدينة لاردة ، واخترق منطقة الثغر الأعلى جنوباً إلى قرطبة ، فدخلها في الخامس من ذي القعدة من السنة نفسها ، وكان في استقباله العديد من العلماء والأكابر مهئين بهذا النصر ، ثم توجه عبد الملك حالاً إلى الخليفة هشام المؤيد ، فاستقبله بكل حفاوة وأكرمه ، وخلع عليه من ثيابه وسلاحه ، فشكره عبد الملك وقبّل يده ، ثم جلس الأخير بقصره بمدينة الزاهرة واستقبل مختلف

(١) الذخيرة، ٨٥/٧.

(٢) البيان المغرب، ٧/٣.

الوفود ، وكان يوماً مشهوداً^(١).

وعلى إثر هذا الانتصار فقد نظم الشاعر ابن الدراج القسطلبي
قصيدة منها:

بدا ريح السعد واستقبل النجح

فيا لله، فاستفتح فقد جاءك الفتح

وقد قدم النصر العزيز لواءه

وقبل طلوع الشمس ينبجج الصبح^(٢)

كانت حملة برشلونة درساً قاسياً للنصارى ، فهابوه وسارعوا إلى
تقديم الولاء والطاعة ، وأرسلوا سفاراتهم إلى قرطبة لتجديد العهد
والمواثيق السابقة ، فأرسل أمير برشلونة رامون بوريل الثالث سفارة
إلى قرطبة ، طالباً فيها عقد الصلح والمهادنة مع المسلمين ، وتم
استقبال سفراءه بكل ترحاب على نمط أسلافهم من سفراء
النصارى^(٣) ، وحدد الغنيمي تاريخ هذه السفارة بسنة ٣٩٥هـ /
١٠٠٤م^(٤).

في أعقاب سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م ، وما
صاحبها من فتن داخلية ، كانت الأندلس مسرحاً للمتصارعين على
السلطة ، وهذا الأمر أدى أن يصبح نصارى برشلونة طرفاً في هذا

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٣.

(٢) المصدر نفسه، ٩/٣.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٨٥/٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ٢، ص ٥٥٨.

(٤) كيف ضاع الإسلام من الأندلس، ص ٢٣٨.

النزاع الداخلي^(١) ، فبعد أن أطاح بالدولة العامرية انقلاب قام به الأمويون في قرطبة بقيادة محمد بن هشام الملقب بالمهدي ، وكان هذا مدعوماً من بعض العامة الذين أثاروا الرعب في قرطبة ، وقام الأخير بإجراءات غير محسوبة عندما سرح الصقالبة وهم عماد الجيش الذي حقق الانتصارات أيام المنصور بن أبي عامر ، ولم يبق منهم في صفوف محمد المهدي سوى قائد قوات الشمال وصاحب مدينة سالم واضح الصقلبي ، الذي أرسل كتاباً إليه يؤكد فيه طاعته ، فبعث إليه المهدي كتاباً يشكره ويعينه والياً على الثغر الأعلى كله ، فيما نكل بالبربر وتعقبهم ، ولعل إجراءاته ضد البربر دفعتهم إلى التفاهم حول شخصية أموية أخرى نائمة على المهدي وهو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر فبايعوه ولقبوه بالمستعين^(٢).

وهنا تدخل نصارى برشلونة في هذا الصراع والذي استمر فيما يبدو لبعض الوقت ، لاسيما بعد أن طلب محمد المهدي من أمير برشلونة رامون بوريل الثالث Ramon Borrell III وأخيه الكونت أرمنجو(ارمنجول) أمير اورقله Urgel المساعدة ضد قوات المستعين وحلفاءه البربر مقابل جزية من المال والتنازل لهم عن مدينة سالم^(٣) ،

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٠/٢٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٣ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ٩٥/٣ - ٩٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١١٤.

وشرطوا على المهدي وواضح الصقلي شروطاً قاسية منها كما ذكرها ابن عذاري قائلاً: ((أن يلتزم لكل رجل منهم دينارين ، وما يقوم به من الشراب واللحم وغير ذلك ، ويجري على القومس في كل يوم مائة دينار ، وما يقوم به من الطعام والشراب وغير ذلك ، وعلى أن لهم كلما حازوه من عسكر البربر من سلاح وكراع ومال ، وأن نساء البربر ودماءهم وأموالهم حلال لهم لا يحول أحد بينهم وبينهم ، وشرطوا عليه شروطاً كثيرة غير هذه فالتزم ذلك كله لهم))^(١).

وعلى إثر ذلك زحف نصارى برشلونة وأورقلة مع واضح الصقلي نحو مدينة طليطلة ، إذ سلم إليهم بالفعل مدينة سالم بعد أن أخلى سكانها المسلمون منها وكان ذلك سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، وقد علق على ذلك ابن عذاري بقوله: ((فدخل الإفرنج مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط وملكوها فأول ما دخلوا من المدينة الجامع ، وضربوا فيه الناقوس وحولوا قبلته...))^(٢).

ويبدو أن النصارى الممثلين بجند أمير برشلونة وأمير أورقله ، لم يبقوا طويلاً في مدينة سالم ، إذ أخلوها بسبب هزيمتهم أمام البربر في قرطبة بعد مقتل نحو ثلاثة آلاف من جنودهم ومن بينهم الكونت ارمنجو أمير أورقله (الذي يسميه ابن الخطيب ارمنقد) وغرق منهم بوادي السقايين ، وهو وادي بارة ، خلق كثير ، فانسحبوا

(١) البيان المغرب، ج٣، ص٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ٣/٩٤. وينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٤٩٥.

بعد ذلك عائدين إلى بلادهم^(١).

وفي بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، شهدت شواطئ البحر المتوسط تحالف نصراني ضد مجاهد العامري^(٢) الذي استقل بحكم دانية Denia والجزائر الشرقية Baleares , Los Islas بعد سقوط الدولة العامرية والذي عرف بنزعه التوسعية ، لاسيما بعد أن قام بضم جزيرة سردينيا إلى دولته سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م^(٣) ، وكان هذا التحالف مكون من المدن الإيطالية جنوا وبيزا ، كما أسهم فيه نصارى برشلونة لقبهم من جزيرة سردينيا ، إذ شارك أسطولهم فيه ، علماً أن هناك سفناً نصرانية أخرى أسهمت أيضاً ولكن لم تعرف هويتها ، وبدا من ذلك أن الحملة كانت كبيرة جداً ، وتمكنت من توجيه ضربة قاسية إلى مجاهد العامري ، واستعاد النصارى جزيرة سردينيا في سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١١٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص ٥٩٤ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ١٧٦/٢ - ١٧٧ .

(٢) مجاهد العامري من فتيان المنصور بن أبي عامر وقد استقل بدانية بعد سقوط الدولة العامرية وكان ذا نباهة ورياسة ومحباً للعلم والأدب، توفى سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٣٢٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٠١/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٥٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣٤/٢٩ - ٤٣٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٠٤ .

(٣) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٥٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢١٨ - ٢١٩ ؛ وينظر أيضاً ؛ الدليمي، إمارة بني غانية في الجزائر الشرقية، ص ٣٦ .

وأخرج مجاهد العامري منها^(١).

وقد علق ابن الأثير على هذه الحملة بقوله: ((وفي سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامري من دانية، وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مركباً، ففتحها وقتل فأكثر وسبى النساء والذرية، فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا وساروا إليه من البر الكبير في جمع عظيم فاقتتلوا، وانهزم المسلمون وأخرجوا من جزيرة سردانية، وأخذت بعض مراكبهم^(٢) وأسر أخو مجاهد، وابنه علي ابن مجاهد، ورجع بمن بقي إلى دانية ولم تغز بعد ذلك))^(٣).

كما علق ابن الخطيب على ذلك بقوله: ((وتداعى عليه ملوك الأرض الكبيرة واستجاشوا، وبلغه من أمرهم ما لا يطيقه، فعزم على التحول إلى محله، والقفل إلى دار ملكه بدانية وميورقه، فأعجله العدو عن ذلك، وقطع به، فكانت وقعة شنيعة، وظهر ما سمع بمثله، فقتل من أصحابه وجنوده عالم لا يحصى وملكوا أسطوله، واستنقذوه، واستولوا على حريمه، وفيهن نساؤه وبناته...))^(٤).

(١) الحميدي، جنوة المقتبس، ص ٣٢٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٥٥ - ١٥٦؛

ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤/١٦٢.

(٢) قال ابن الخطيب لم يخلص من أسطوله إلا خمسة مراكب وأربعة قوارب،

أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٠٤.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٥٣.

(٤) أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢١٩.

عاد أمراء برشلونة مرة أخرى للتدخل في الشؤون الداخلية للأندلس ، لاسيما في مناطق الشرق الأندلسي ، بعد أن سمح لهم حكام هذه المناطق للتدخل في شؤونهم ، إلا أن هذا الأمر لم يرق لأهالي تلك المناطق ، وابدوا امتعاضهم من هذا الوضع ، وهو ما حدث في مدينة بلنسية عندما تولى حكمها الفتى لبيب العامري^(١) صاحب مدينة طرطوشة سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م ، وشاركه في حكمها مجاهد العامري ، إذ سخط أهالي بلنسية من لبيب لوقوعه تحت نفوذ حاكم برشلونة النصراني ، وقاموا بثورة ضده ، فهرب لبيب إلى مدينة طرطوشة ، وانفرد مجاهد بحكم مدينة بلنسية ، إلى جانب حكمه لمدينة دانية^(٢).

ولعل هذا الأمر لم يرق لأهالي بلنسية بأن يحكمهم مجاهد العامري ، فاستدعوا لحكم المدينة المنذر بن يحيى بن عبد الرحمن التجيبي فسار الأخير في بعض قواته باتجاه مدينة بلنسية ، ووقعت بينه وبين مجاهد العامري عدة مواجهات عسكرية ، ولم ينتهي هذا الصراع إلا بعد قيام الفتيان العامريان بعقد البيعة لحفيد مولاها عبد

(١) لما سقطت الدولة العامرية تفرق الفتيان العامريين في مناطق شرق الأندلس ، فكان منهم لبيب العامري الصقلي الذي فر إلى طرطوشة وتغلب عليه سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م واستمر في حكمها حتى وفاته سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٢٤ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٧٣ .

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ١١٧ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ١٩٢ .

العزیز بن عبد الرحمن بن المنصور^(١) ، وتعيينه أميراً لمدينة بلنسية سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م وعند ذلك انسحب مجاهد العامري إلى دانية وعاد المنذر التجيبي إلى سرقسطة^(٢).

أما لبيب العامري الذي صارت له طرطوشة^(٣) ، ولقرب بلاده من برشلونة فقد حرص لبيب على مصانعة أميرها ريمون وصير نفسه تابعاً له وهو ما أدى إلى ثورة أهالي طرطوشة عليه واستدعوا المنذر أمير سرقسطة ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((... ، فلاذ بالطاغية أمير الإفرنج يومئذ واستبلغ في الطاقة حتى صير نفسه كبعض عماله فغاض المسلمين ذلك إذ عرضهم لملك النصرانية فوثبوا عليه...))^(٤).

من جانبه فإن المنذر أمير سرقسطة وقف ضد نفوذ البربر في قرطبة ومبايعة علي بن حمود^(٥) ، تحالف مع الفتيان العامريين ورشحوا

(١) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، بايعه الموالي العامريون في شرق الأندلس أيام الفتنة، واستمر حتى وفاته سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٦٣ - ١٦٤؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٥٧.

(٣) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٧٩.

(٤) البيان المغرب، ٣/١٦٣ - ١٦٤.

(٥) هو علي بن حمود الحسني يرجع نسبه إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) تولى الخلافة في قرطبة سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م وقتل سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٤ - ٢٥؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٢١ - ١٢٣.

للخلافة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى ، واستعانوا بنصارى برشلونة لمقاتلة البربر وخلع علي بن حمود ، فخرج الكونت ريمون أمير برشلونة معهم والتقوا بالبربر الذين كانوا بقيادة زاوي بن زيري صاحب غرناطة ، وتمكن الأخير من هزيمتهم وقتل مرشحهم للخلافة عبد الرحمن المرتضى ، عندها ارتد أمير برشلونة إلى بلاده^(١).

واصل المنذر في حكمه لمدينة سرقسطة وتعاونه مع النصارى ، فكانت تربطه بهم علاقات وثيقة ولاسيما مع أمير برشلونة رامون بوريل الثالث Ramon Borrell III ، كما كانت له علاقة مع شانجه غرسيه الثالث Sacho Garcia III الملقب بالكبير ملك نافار (٣٩١-٤٢٧هـ / ١٠٠٠-١٠٣٥م) ، كذلك مع الفونسو الخامس Alfons V ملك ليون (٣٨٩-٤١٨هـ / ٩٩٨-١٠٢٧م) ، ولعل المنذر قد بالغ في صداقته مع الحكام النصارى ، حتى أنه نظم في قصره بمدينة سرقسطة حفلاً لعقد المصاهرة بين أميرين من أمراء النصارى ، وهما شانجه ملك نافار ورامون بوريل أمير برشلونة ، وحضر هذا الحفل الفقهاء والقساوسة وأعيان النصارى بالإضافة إلى المسلمين ، وعلى إثر ذلك سخط الناس عليه من جراء تصرفه هذا ، وأخذوا بالتكلم عليه ، ولعل هذه السياسة التي اتبعها مع النصارى كان الغرض منها حماية حدود مدينة سرقسطة منهم ، وذلك بإقامة سياسة السلم

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٢٦ - ١٢٧ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٦٦-٢٦٧.

والمودة معهم ، إلا أنه لم يستمر طويلاً في حكم المدينة ، إذ توفي سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م^(١).

ولما توفي المنذر التجيبي خلفه على سرقسطة ابنه يحيى ، إلا أنه اختلف عن أبيه في سياسته مع النصارى ، إذ لم تكن له علاقة صداقة معهم ، لذلك نلاحظ تعرض المناطق التابعة لحكمه لبعض الهجمات من النصارى ، إذ هاجم أمير برشلونة الكونت رامون بوريل بعض أراضيه مما أجبره إلى التنازل له عن بعض الحصون والقلاع لقاء وقف عدوانه عليه^(٢).

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٦/٣ - ١٧٧ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٨/٤.

(٢) ابن خلدون، العبر، ص ١٦٨ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٥٨ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٣٧.

الفصل الرابع

الاشتباكات بين نصارى برشلونة والمسلمين
(٤٢٢-٦٦٤هـ / ١٠٣٠-١٢٦٩م)

أولاً: عهد الطوائف

ثانياً: عهد المرابطين

ثالثاً: عهد الموحيدين

أولاً: عهد الطوائف

(٤٢٢ - ٥٤٨٤/١٠٣٠ - ١٠٩١م)

سقطت الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م وذلك عندما قام أهل قرطبة بخلع الخليفة هشام المعتد بالله^(١) وألغوا الخلافة

(١) قال ابن حزم: (لما قطعت دعوة يحيى بن علي الحسيني من قرطبة سنة سبع عشرة... أجمع رأي أهل قرطبة على رد الأمر إلى بني أمية، وكان عميدهم في ذلك الوزير أبو الحزم جهور بن محمد... وقد كان ذهب كل من كان ينافس في الرياسة ويخب في الفتنة بقرطبة، فراسل جهور ومن معه من أهل الثغور والمنتغلبين هنالك على الأمور، وداخلهم في هذا، فاتفقوا بعد مدة طويلة على تقديم أبي بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وهو أخو المرتضى... كان مقيماً بالبوت عند أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم المتغلب بها، فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وتلقب بالمعتد بالله، وكان مولده سنة أربع وستين وثلاثمائة، وكان أسن من أخيه المرتضى بأربعة أعوام؛ وأمه أم ولد اسمها عاتب، فبقي متردداً في الثغور ثلاثة أعوام غير شهرين، ودارت هنالك فتن كثيرة، واضطراب شديد بين الرؤساء بها إلى اتفق أمرهم على أن يصير إلى قرطبة قصبه الملك، فصار ودخلها يوم منى ثامن ذي الحجة سنة عشرين وأربعمائة، ولم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع، وجرت أمور يكثر شرحها، وانقطعت الدعوة الأموية من يومئذ فيها...) (رسائل ابن حزم، ٢/٢٠٣؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٨ - ٢٩؛ الضبي، بغية=

ونصبوا الوزير جهور بن محمد بن جهور رئيساً لحكومة قرطبة ، عندها وثب كل زعيم أو صاحب نفوذ أو قاضي أو وزير سابق على مدينة أو إقليم وكونوا كيانات سياسية لهم بشكل مستقل عن الآخرين ، فانقسمت الأندلس إلى كيانات بلغت أكثر من عشرين دولة ، عرفت في التاريخ بدويلات الطوائف Taifas, Los والتي استمرت حتى قيام المرابطين Almoravides, Los بإسقاط تلك الدويلات وضم الأندلس بأكملها إلى دولتهم سنة ٤٨٤هـ/١٠٩٢م ، وأبلغ وصف لحالة الأندلس في عصر الطوائف ذلك الذي كتبه ابن الخطيب إذ قال: ((ذهب أهل الأندلس من الانشقاق ، والانشعاب ، والافتراق ، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار ، مع امتيازها بالمحل القريب ، والخطئة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ، ولا في الإمارة سبب ، ولا في الفروسية نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار ، واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العمالات والأمصار ، وجندوا الجنود ، وقدموا القضاة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام ، وأنشدتهم الشعراء ، ودونت بأسمائهم الدواوين ، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ، وهم ما بين محبوب ، وبربري مجلوب ، ومجنند غير محبوب ،

=المتمس، ص٣٧؛ المراكشي، المعجب، ص٥٠- ٥١؛ ابن الأثير، الحلة السيرة، ٢٠٩/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٤٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٣٧- ١٣٩.

وغفل ليس في السراة بمحسوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى
ثائراً ، ولا لحزب الحق مغائراً ، وقصارى أحدهم يقول: أقيم على ما
بيدي ، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه ، ولو جاءه عمر بن
عبد العزيز لم يقبل عليه ، ولا لقي خيراً لديه ، ولكنهم استوفوا
في ذلك آجالاً وأعماراً ، وخلفوا آثاراً ، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً ،
من معتمد ، ومعتمد ، ومرضى ، وموفق ، ومستكف ، ومستظهر ،
ومستعين ومنصور ، وناصر ، ومتوكل ، كما قال الشاعر:

مما يزهديني في أرض أندلس

ألقاب معتمد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كأهريحك انتفاخاً صَوْرَةَ الأسد^(١).

وبخصوص إمارة برشلونة فإنها شهدت تغييرات مهمة منذ بداية
القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، فقد كانت تحكمها
آنذاك أسرة برنجير ، وفي عهد مؤسسها الكونت رامون برنجير الكبير
(الأول) Ramon Berenguer I (٤٢٧-٤٦٩هـ / ١٠٣٥-١٠٧٦م)
اتسعت رقعة الإمارة فضمّت إليها أرقلة وشرطانية Cerdana
وقرقشونة الفرنجية الواقعة في الناحية الأخرى من جبال البرت ،
وكان لضم قرقشونة إلى برشلونة نتيجة هامة وهي إعادة الإتصال
بين الثغر القوطي وجنوب فرنسا ، وهو ما فسح المجال للفرسان

(١) أعمال الأعلام، ق٢، ص١٣٩ - ١٤٤.

المغامرين من الإفرنج بالالتحاق بالجيش النصرانية التي تقاتل المسلمين في الأندلس^(١) ، ومنها جيوش إمارة برشلونة ، لذا نرى زيادة النشاط العسكري لها وضمها المزيد من الأراضي الإسلامية. كما قام أمير برشلونة رامون أيضاً بعدة إصلاحات قضائية في مدينة برشلونة خلال مدة حكمه ، إذ استدعى سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م جمعية من الكبراء في برشلونة ، وأصدرت هذه الجمعية قانوناً جديداً سمي ((بعرف برشلونة)) Usages de Baarcelona ليطبق إلى جانب القانون القوطي القديم^(٢).

استغل نصارى برشلونة الصراع الداخلي في الأندلس لصالحهم ، فشاركوا في الحملة العسكرية التي أعدت من قبل النصارى الأوربيين سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ، لغزو مناطق الأندلس وبمباركة البابوية ، وقد انطلقت هذه الحملة من بلاد الإفرنج ، إذ حشد جيوم دي مونترروي عشرة آلاف فارس في ولاية نورمانديا ، حاملاً شعار البابوية ، حيث بعث به البابا الإسكندر الثاني (٤٥٣ - ٤٦٦هـ / ١٠٦١ - ١٠٧٣م) على رأس المقاتلين الإيطاليين قائداً للجيش الرومانية والبابوية^(٣) ، كما حشد من بلاد الإفرنج عدد كبير من المقاتلين من مختلف المناطق ، حتى قدرت

(١) ينظر : عنان، دول الطوائف، ص ٤٩٣ ؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٤ ؛ أشباخ،

تاريخ الأندلس، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) عنان، دول الطوائف، ص ٤٩٣.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٠ - ٧١ ؛ بروفنسال، الإسلام في المغرب

والأندلس، ص ٣٠١.

بعض المصادر عدد القوات المتحالفة جميعاً بنحو أربعين ألف مقاتل^(١)، وتوجهت هذه القوات إلى الأندلس عن طريق برشلونة، حيث انضمت القوات البرشلونية إليها^(٢)، واتجهت بعدها القوات النصرانية المتحالفة إلى الثغر الأعلى الأندلسي، وقصدت مدينة وشقة التي تمت محاصرتها لبعض الوقت، دون تمكنهم من الاستيلاء عليها، مما دعاهم إلى التوجه شرقاً نحو مدينة برشتر التي كانت آنذاك من أملاك يوسف بن هود، ولم يفكر أخوه المقتدر بن هود بنجدتها لكونها من أعمال أخيه، فتركها تلاقى مصيرها، فقد فرض عليها النصارى الحصار سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، إلا أن المدينة صمدت لمدة أربعين يوماً، فلجأت القوات النصرانية المتحالفة إلى أسلوب آخر لإنهاء المحاصرين، وهو قطع الماء عنها، الأمر الذي أثر على الروح المعنوية للمدافعين، فحاولوا عقد الصلح معهم والحصول على وعد بعدم معاينة الأهالي، فوعدهم بذلك، إلا أن النصارى نكثوا العهد، وقاموا باقتحام المدينة والاستيلاء عليها بالقوة^(٣).

وقد صور لنا ابن بسام مأساة ما وقع لأهالي مدينة برشتر عندما اقتحمها النصارى بقوله: ((وهو أن جيش الأردمانيين طنبوا عليها، ووالوا حصرها، وجدوا في قتالها طامعين فيها، وقد أسلمهم أميرهم

(١) البكري، المسالك والممالك، ٩١٠/٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس،

ص ٧٠-٧٢؛ الحميري، صفة، ص ٤٠.

(٢) عنان، دول الطوائف، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٥/٣ - ٢٢٦.

يوسف بن سليمان بن هود لخطبهم ، ووكلمهم إلى أنفسهم ، وقعد عن النفير نحوهم ، فأقام عليها العدو منازل أربعين يوماً ، ووقع بين أهلها تنازع على القوات لقلته ، ولما علم العدو بذلك جدّ في القتال ، فدخل الكفرة المدينة البرانية في نحو خمسة آلاف دارع ، فبهت الناس وتحصنوا بمدينتهم الداخلة ، ودارت بينهم حرب شديدة قتل فيها من النصارى خمسمائة ، ثم اتفق من قدر الله تعالى أفضت إلى شط النهر ، فانهارت في نفس ذلك السرب بأسره ، فعدمو الماء وأيسوا من الحياة ، ودعوا إلى تأمينهم على النزول بأنفسهم خاصة دون مال وعيال ، فأعطاهم أعداء الله ذلك ، فلما خرجوا نكثوا بهم وقتلوا معاً ، ولم يطلقوا منهم غير قائدهم ابن الطويل وقاضيه ابن عيسى في نفر من الوجوه قليل عددهم ، فحصلوا من غنائم بريشتر على ما لا يقدر حصره كثرة ، زعموا أنه صار لأكبر رؤسائهم ، قائد خيل رومة ، في حصته نحو ألف وخمسمائة جارية أبقاراً كلهن ، ومن أوقار الأمتعة من الحلي والكسوة والوظء خمسمائة حمل ، وتحديث أيضاً أنه أصيب في هذا القتال والسبي مائة ألف نسمة ، وشدّ الكفار أيديهم بمدينة بريشتر واستوطنوها ، وهلك من نساء بريشتر جملة يكثر عدداً عند إفلاتهن من عطش القصبلة لتطرحهن على الماء يكرعن فيه بغير مهل ، فكبهن للأذقان موتى ، وكان الخطب في هذه النازلة أعظم من أن يوصف أو يتقصى...^(١).

(١) الذخيرة، ١٨٢/٥ - ١٨٣.

إلا أن المدينة لم تستمر طويلاً بيد النصارى إذ تم استرجاعها بعد سنة من قبل المسلمين ، أي في سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م^(١) ، من هذه الحملة نرى أن نصارى برشلونة لم يتوانوا في الاشتراك بأي حملة تستهدف مناطق الثغر الأعلى الأندلسي.

كانت علاقة العامرين مع نصارى برشلونة قد تحسنت في عهد علي بن مجاهد العامري^(٢) (٤٣٦-٤٦٨هـ / ١٠٤٤-١٠٧٥م) حاكم دانية والجزائر الشرقية ، إذ اتبع سياسة المودة والتسامح مع نصارى برشلونة ، وكان يحكم برشلونة خلال تلك المدة رامون برنجير الأول ، وتشير وثيقتان صادرتان منه (أي علي بن مجاهد) نقلاً عن المصادر الأسبانية ، الأولى أنه قام بوضع الكنائس والبيع التي بمملكة دانية والجزائر الشرقية تحت رعاية أسقف برشلونة ، والثانية أنه سمح للنصارى المعاهدين في مناطق حكمه بأن يذكروا اسم أسقفهم في خطبهم ومواعظهم ، وقد جاءت الثانية بالنص العربي ، وفيها: ((أشهده إقبال الدولة ، أيده الله ، على أنه أجاب غلبت الأسقف ببرشلونة ، إلى أن يكون مذكوراً في خطب النصارى في بيعهم بجميع أعماله ، وهو مما انعقد بالخط الأعلى ، وذلك في شوال سنة تسع

(١) ابن بسام، الذخيرة، ١٨٩/٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٧.

(٢) حكم علي بن مجاهد العامري دانية وبعض مناطق شرق الأندلس بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، واستمر حتى سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م عندما استولى عليها ابن هود، ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ق٢، ص٢٢١- ٢٢٢.

وأربعين وأربعمائة)) ثم يلي ذلك أسماء اليهود^(١).

ويبدو أن العامريين قد خدمتهم هذه العلاقة مع نصارى
برشلونة، لاسيما بعد أن دخل علي بن مجاهد في صراع مع صهره
أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر^(٢) صاحب مدينة
سرقسطة، وانتهى الصراع بدخول المقتدر إلى مدينة دانية والسيطرة
عليها سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، وعلى إثر ذلك حاول علي بن مجاهد أن
يسعى لاسترداد ملك أبيه، فسار إلى برشلونة، وطلب مساعدة
حاكمها رامون برنجير الأول، فاستجاب الأخير لطلبه، ومدّه ببعض
قواته، وفعلاً تمكن من أن يسترد بعض الحصون، إلا أن المقتدر
استطاع أن يدس إليه أحد أتباعه وتمّ سمّه، فتوفي في سنة ٤٦٩هـ/
١٠٧٦م^(٣).

عاد نصارى برشلونة مرة أخرى للتدخل في الوضع الداخلي
لدويلات الطوائف، لاسيما بعد أن اشتعلت نار الفتنة في مرسية
Murcia بين بعض العناصر الخارجة عن الحكم على واليها أبو

(١) عنان، دول الطوائف، ١٩٨ - ١٩٩؛ وينظر أيضاً: السامرائي، علاقات
المرابطين، ص ٤٩.

(٢) هو أحمد بن سليمان بن هود الجذامي، تولى سرقسطة ومنطقة النضر
الأعلى بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م، ودخل في صراع مع النصاري، كما
حاول مد سيطرته على بعض مناطق الأندلس، ومنها دانية، وكانت وفاته
سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٦٧ - ١٦٨؛ ابن
خلدون، العبر، ص ١٦٨.

(٣) السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٥١.

عبد الرحمن محمد بن طاهر ^(١) الذي لم يوفق في إخماد هذه الثورة ، لذا طلب بعض أعيان المدينة من أمير إشبيلية Sevilla المعتمد بن عباد ^(٢) بضرورة تخليصهم من هذا التمرد والإسراع في فتح المدينة ، وقد شرحوا إلى المعتمد ضعف ابن طاهر ، وقلّة إمكانياته الدفاعية ، وعلى إثر ذلك جهز المعتمد بن عباد قوة عسكرية بقيادة وزيره ابن عمار ^(٣) للإسراع في تخليص المدينة ، لذلك

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي من أهل مرسية تغلب عليها مدة ثم نازعه عليها ابن عباد فأخرجه منها فلجأ إلى بلنسية سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م، وتوفي بها سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م وكان من أهل العلم والأدب والبلاغة والبيان، ينظر: الضبي، بغية الملتبس، ص ٥٠؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١١٦/٢ - ١٢٧؛ التكملة، ٤٧/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) يرجع أصل أسرته إلى المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة، ودخل جدهم عطاف بن نعيم مع طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان كبير أسرته أيام الفتنة التي تلت سقوط الخلافة إسماعيل بن عباد على قضاء إشبيلية فتمكن من السيطرة على المدينة وضبط أمورها، وورث أولاده الحكم بعده، فحكم المعتمد بن عباد من سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، وكانت وفاته ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٥٢/٢ - ٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٤/٢ - ١٦٢.

(٣) هو أبو بكر بن عمار بن حسين المهري من شلب، كان واحداً من كبار شعراء الأندلس طاف على أمراء الطوائف ثم اختص بالمعتمد بن عباد الذي استوزره ثم تقلبت به الأحوال فغضب عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، ابن بسام، الذخيرة، ٢/٢٧٨ - ٣٢٦؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٣١/٢ - ١٦٥؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٩٧.

عقد الأخير مع الكونت رامون برنجير أمير برشلونة اتفاق تضمن أن يساعده على فتح مرسية ، مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب تدفع إليه ، ولضمان هذا الاتفاق ، قدم كل منهما رهينة إلى الآخر ضمناً بالتزاماتهم ، إذ قدم المعتمد بن عباد ولده الرشيد^(١) ، وقدم أمير برشلونة ابن أخيه^(٢) .

تقدمت القوات المتحالفة والمكونة من قوات المعتمد بن عباد وقوات أمير برشلونة ، وتمكنت من محاصرة مدينة مرسية ، ويبدو أن المعتمد تأخر في أداء المال المتفق عليه إلى أمير برشلونة ، وهو ما جعل الأخير يعتقد أن ابن عباد قد غدر به ، فقام بالقبض على ابن عمار وعلى الرشيد بن المعتمد ، وارتد بقواته عن مدينة مرسية ، وعندما علم المعتمد بذلك ، وكان موجوداً في ذلك الأثناء على رأس قواته على ضفاف نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir على مقربة من مدينة شقورة Segura ، بادر بالحال بأداء المال ، ومن أجل بيان حسن نيته ، فقد بعث إليه ابن أخيه الرهينة في الاتفاق

(١) هو عبيد الله الرشيد بن محمد بن عباد المعتمد وولاه أبوه عهده كما قلده قضاء إشبيلية، وكان دماً رقيقاً حاشية الطبع، له أدب وشعر، وعندما سقطت دولة بني عباد نقل الرشيد إلى المغرب في قلعة مهدي وتوفي هناك في حدود سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، ابن الأبار، الحلة السيرة، ٦٨/٢؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢٧١/٤ - ٢٧٢.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٨٦؛ وينظر: التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص ٢٤٠ - ٢٤١؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

الذي جرى بينهما ، وفي مقابل ذلك فقد أفرج كونت برشلونة عن الرشيد وابن عمار ، وأخفقت هذه الحملة في فتح مرسية^(١) .
وبعدها توفي أمير برشلونة رامون برنجير الأول سنة ٤٦٩هـ /
١٠٧٦م ، وخلفه ولداه برنجير ورامون في حكم إمارة برشلونة معاً وفقاً
لوصيته ، ولكن الخلاف ما لبث أن وقع بينهما ، وانتهى الأمر
بالاتفاق أن يتسمى كل منهما بكونت برشلونة ، وأن يتناوبا الحكم
كل ستة أشهر^(٢) .

وبعد مدة وجيزة من ذلك جهز المعتمد بن عباد حملة عسكرية
أخرى إلى مدينة مرسية بقيادة ابن عمار وبالتعاون مع قائد حصن
بلج Velez Rubio عبد الرحمن بن رشيق^(٣) ، فسار معه ، وتمكنوا
من محاصرة مدينة مرسية ، ومن ثم فتحها وتم القبض على ابن
ظاهر واعتقاله ، ثم تم الإفراج عنه سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م^(٤) .
وكان الصراع على السلطة أحد العوامل التي دفعت أمراء

(١) المراكشي، المعجب، ص ٨٦ ؛ وينظر : عنان، دول الطوائف، ص ٦٥ ؛ أدهم،
المعتمد بن عباد، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) عنان، دول الطوائف، ص ٣٩٤ .

(٣) كان عبد الرحمن بن رشيق احد الطامعين، ظهر في شرق الأندلس
واستطاع التغلب على مرسية، وناصب المعتمد بن عباد العداء، إلا أن الأخير
تمكن من إلقاء القبض عليه وسجنه في مدينة لورقة سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م،
ينظر : ابن بسام، الذخيرة، ق ٣، ٢٣/٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ٢/ ١٤٠، ١٤٢،
١٤٦، ١٧٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٣٢ .

(٤) المراكشي، المعجب، ص ٨٦ - ٨٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٦ .

الطوائف إلى الاستنجاد بالنصارى ، ففي سرقسطة عمل سليمان بن هود سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م^(١) وقبيل وفاته على تقسيم سرقسطة وأعمالها بين أولاده الخمسة ، فقد اختص أحمد المقتدر بمدينة سرقسطة ، ويوسف المظفر بمدينة لاردة ، ولب بمدينة وشقة ، والمنذر بمدينة تطيلة ، ومحمد بمدينة قلعة أيوب Calatayub ، واستقل كل منهم بحكم مدينته وأعمالها^(٢).

إلا أن هذا التقسيم لم يكن مرضياً لبعضهم ، فكان سبباً للخلاف فيما بينهم ، إذ دبّ الصراع بين أحمد المقتدر أمير سرقسطة ، وبين أخيه يوسف المظفر أمير لاردة ، وقد استعان الأول بطلب مساعدة نصارى برشلونة والبشكنس ضد أخيه المظفر ، حتى تمكن أخيراً من هزيمته وأسرته^(٣).

وبعد وفاة أحمد المقتدر بن هود سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، قسمت أيضاً المناطق التابعة له بين ولديه يوسف المؤتمن وأخيه المنذر ، وقد اختص المؤتمن بسرقسطة وأعمالها ، أما المنذر فكان له الجانب الشرقي من سرقسطة وفيه ثغر طركونة وطرطوشة ولاردة ودانية^(٤).

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٦٨ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/ ٢٨٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٧٨.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٤٧/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٧١ ؛ الفلقشندي، صبح الأعشى، ٥/ ٢٥٥ ؛ وينظر: العمائرة ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٥٦.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ٤/ ٥٤ - ٥٥ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٢٤.

(٤) ابن بلقين، التبيين، ص ٧٨ وما بعدها ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦ هامش (١).

بعد هذا التقسيم حدث خلاف بين الإخوة ، وتطور إلى صراع عسكري بينهما ، واستعان المنذر بمساعدة كونت برشلونة رامون بن رامون برنجير الأول ، وملك أراغون سانشو راميرز (راميرث) Sancho Ramirez (٤٥٥-٤٨٧هـ / ١٠٦٣-١٠٩٤م) ، أما يوسف المؤتمن فقد طلب مساعدة السيد القمبيطور Cid Elcampeador^(١) ، وقد حدث الصراع بين الأخوين عند قلعة المنار على مقربة من مدينة لاردة سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م ، إذ كان المؤتمن قد حصن هذه القلعة ، وأحاطها بالمقاتلين ، ولما شعر المنذر بخطورة هذه القلعة على مناطق حكمه ، سار في قوة عسكرية مع حلفائه المتمثلين بأمرأء برشلونة وبعض الأمراء الإفرنج في شمال مقاطعة كتلونية ، وحاصر

(١) وهو فارس قشتالي مغامر تزعم فرقة من الفرسان النصاري، وأخذ يجوب شرق الأندلس ويستأجر نفسه لحكامها، ثم يضرب بعضهم ببعض من أجل إضعافهم، وكانت له صداقة مع أحمد المقتدر بن هود، ثم مع ولده يوسف المؤتمن، ولعب دوراً كبيراً في الصراع بين حكام بين هود، ثم لما رأى اختلال الأمور في بلنسية توجه إليها بصحبة المستعين الأصغر بن هود وضرب عليها الحصار مما اضطر أهلها إلى الاستسلام بعد أن عقدوا معه معاهدة تصب في صالحه وأسياده حكام قشتالة، وكان ذلك سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، وصادر أموال القادر بن ذي النون، ثم نقض الصلح مع أهالي المدينة وقتل القاضي ابن جحاف الذي وقع معه المعاهدة بعد أن عذبه حرقاً بالنار، ثم أمر بإحراق جماعة من أهل المدينة وسام أهلها العذاب، مما اضطر الكثير منهم إلى مغادرتها، ولم ينقذ ذلك الوضع إلا وفاته سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، ٧٣/٥ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣١/٤ - ٤٢؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٣١ - ٢٣٨.

القلعة ، فتصدى له المؤتمن والسيد القمبيطور بقواتهما ، ووقعت بين الطرفين معركة شديدة أسفرت عن هزيمة المنذر وحلفاءه^(١).

بعدها رجع رامون بن رامون بقواته إلى مدينة برشلونة ، إذ قتل في السنة نفسها ، أي سنة ١٠٨٢هـ / ١٠٧٥م ، واتجهت الشبه في ذلك إلى أخيه برنجير ، ولعل لهزيمة مع المنذر بن هود علاقة بذلك ، وقام برنجير بحكم إمارة برشلونة منفرداً بالأصالة عن نفسه ، وبصفته وصياً على ولد أخيه القاصر رامون الثالث^(٢).

كما لم يدم حكم المؤتمن بن هود طويلاً ، إذ توفي سنة ١٠٨٥هـ / ١٠٨٥م ، فخلفه في الحكم ولده الملقب أحمد المستعين ، وبقي الجانب الشرقي من مدينة سرقسطة وفيه ثغر طركونة وطرطوشة بيد عمه المنذر بن هود^(٣).

كان أول عمل عسكري قام به كونت برشلونة برنجير بن رامون برنجير الأول منذ توليه هو تحالفه مع النصارى في معركة الزلاقة Sagrajas سنة ١٠٧٩هـ / ١٠٨٦م ضد القوات المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين^(٤) ، إذ اشترك في هذا التحالف جهات عدة من إيطاليا

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٢٤، ٢٧٥.

(٢) عنان، دول الطوائف، ص ٣٩٤ ؛ التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي،

ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ١/١٤٣.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦.

(٤) عنان، دول الطوائف، ص ٣٩٤.

ومن وراء جبال البرت ^(١)، ومن أنحاء الممالك الأسبانية كافة التي هرع ملوكها لنجدة ومساعدة ملك قشتالة الفونسو السادس Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٢هـ / ١٠٦٥-١١٠٨م) ^(٢)، كما سارع البرهانس Alvar Hanez ^(٣) لمساعدة الفونسو السادس وقواته ضد المسلمين، كما أدت الكنيسة دورها في إذكاء الحماس للمتطوعين ^(٤).
وبعد استكمال القوات النصرانية استعداداتها، سار الفونسو السادس على رأس القوات باتجاه مدينة بطليوس Bodajoz مزهواً بتفوق قواته بالعدد والعدة الكبيرة ^(٥)، وعسكر على ثلاثة أميال من معسكر المسلمين، وكان يفصل بين المعسكرين نهر بطليوس ^(٦).
ودارت المعركة في سهل الزلاقة إلى الشمال الشرقي من بطليوس ^(٧)، وقد استمرت يوماً واحداً، وهو يوم الثاني عشر من

(١) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ١٤٦.

(٢) السلاوي، الاستقصا، ٣٢/٢.

(٣) وهو القائد الأسباني المعروف Alvar Hanez ابن أخي السيد القمبيطور، وكان من كبار قواد ملك قشتالة الفونسو السادس، ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٦٣ هامش (٣).

(٤) السلاوي، الاستقصا، ٤١/٢.

(٥) عنان، دول الطوائف، ص ٣١١.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٢ - ٩٣.

(٧) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٦.

رجب سنة ٤٧٩هـ/ ٢٣ تشرين الأول ١٠٨٦م^(١) ، وانتهت المعركة
بانهزام النصارى وتكبيدهم خسائر كبيرة^(٢).

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٠/٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٤ ؛
الحميري، صفة، ص ٩١ - ٩٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٠/٤ ؛ ابن أبي
زرع، الأنيس المطرب، ص ١٤٩ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨٤/٣ ؛ دوزي،
ملوك الطوائف، ص ٢٨٦.

ثانياً: عهد المرابطين

(٤٨٤ - ١٠٩١/٥٥٤١ - ١١٤٦م)

تعد معركة الزلاقة بداية النهاية لعهد دويلات الطوائف في الأندلس ، فقد عمل يوسف بن تاشفين بعد الزلاقة على ضم مناطق الأندلس الواحدة تلو الأخرى إلى نفوذه حتى استكمل ذلك سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م^(١).

لم توضح المصادر التي بين أيدينا الخسائر التي لحقت بقوات برشلونة في معركة الزلاقة ، ولكن الفونسو السادس رجع خائباً على أقل تقدير ، إلا أن سلوته كانت في استمرار دويلات الطوائف في شرق الأندلس والثغر الأعلى مدة من الوقت قبل دخولها في حوزة المرابطين ، فعمل على استغلال ذلك ، ففي الثغر الأعلى استمر بنو هود بعلاقتهم مع نصارى برشلونة بعد معركة الزلاقة ، إذ تحالف أحمد المستعين بن هود خلال مدة حكمه مع كونت برشلونة

(١) ينظر عن الخطوات التي قام فيها يوسف بن تاشفين بضم الأندلس : عنان، دول الطوائف، ص ٣٢٢ - ٣٣٣؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٤٩ - ٢٥٣.

برنجير بن رامون (٤٦٨-٥٤٨٥ هـ / ١٠٧٥-١٠٩٢م) ضد السيد القمبيطور بعد ما أدرك المستعين مدى نفاقه ، وانصرافه إلى العمل لصالحه بعد دخوله في صلح مع مملكة قشتالة Castilla ، وقد أثمر التحالف الجديد بين كونت برشلونة والمستعين عن اتفاق بينهما يقضي بأن يقدم المستعين إلى كونت برشلونة أموالاً كبيرة مقابل قيام الأخير بالسيطرة على مدينة بلنسية وانتزاعها من أميرها القادر بن ذي النون ، وفعلاً تمت محاصرة المدينة ، إلا أن القادر صمد أمامهم منتظراً السيد القمبيطور حتى يعود من مملكة قشتالة ليساعده في صد هجوم أمير برشلونة ، وفعلاً عاد السيد القمبيطور ومعه سبعة آلاف مقاتل ، ونزل في أراضي السهلة التابعة لابن رزين صاحب شنتمرية الشرق Albarracin سنة ٥٤٨١ هـ / ١٠٨٩م ، وبعدها غادر أراضي السهلة ، وسار بقواته باتجاه مدينة بلنسية ، وكان كونت برشلونة يحاصرها ، وعندما اقترب القمبيطور بقواته ، وقعت بينه وبين كونت برشلونة معركة شديدة أسفرت عن هزيمة الأخير ، ووقع هو نفسه في الأسر مع مجموعة من أتباعه ، ولم يفرج عنهم إلا لقاء فدية كبيرة ، ثم تفاهم الطرفان ورفعت القوات البرشلونية الحصار عن مدينة بلنسية ، وعاد الكونت بجيشه إلى برشلونة سنة ٥٤٨٢ هـ / ١٠٩٠م^(١).

كانت الهزيمة التي حلت بكونت برشلونة في بلنسية حافزاً له على مهاجمة مناطق نفوذ بني هود ، ربما لأنه حملهم المسؤولية عن

(١) عنان، دول الطوائف، ص ٣٩٤.

ذلك ، فضلاً عن شعوره بضعفهم وتأخر وصول المرابطين إلى منطقة
الشجر الأعلى ، فأراد انتزاع ما يمكن انتزاعه من الأراضي لاسيما
الحاذية لمناطق نفوذه.

سار الكونت برنجير بن رامون بعد سنة من محاصرته بلنسية
مستصحباً معه أحبار برشلونة يأملون انتزاع ثغر طركونة وإعادته كما
كان مركزاً للكنيسة البرشلونية ، فكتبوا إلى البابا أوربان
الثاني Urbain II (٤٨١-٤٩٣هـ / ١٠٨٨-١٠٩٩م) ، وهو محرك الحروب
الصليبية في المشرق ، وقد شجع البابا مشروعهم وباركه ، وأسبغ عليه
الصبغة الصليبية ، وأصدر طائفة من المنح والمزايا الدينية للذين
يشتركون في هذه الحملة ، وكتب إلى سائر الأمراء والفرسان ورجال
الدين في البلاد المجاورة ، يحثهم على الاشتراك في هذه الحملة
المقدسة^(١) ، وهكذا جهزت حملة قوية ذات طابع ديني ومن مختلف
المناطق لافتتاح مدينة طركونة ، ثم جاءت وفاة المنذر بن هود في تلك
المدة مشجعة للنصارى ، وقد توجهت الحملة العسكرية إلى طركونة ،
وتمكنت من الاستيلاء عليها وانتزاعها من المسلمين بسهولة
سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م وذلك لضعف تحصيناتها الدفاعية وتحلي المستعين بن
هود صاحب مدينة سرقسطة عن إنجادها ، كما أن القوات المرابطية لم
تكن قد وصلت آنذاك في زحفها نحو الشجر الأعلى الأندلسي^(٢).

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ق١، ص١١٦ - ١١٧؛ العليايوي، الحملات الصليبية على
الأندلس، ص٩٢.

وقد استمر كونت برشلونة برنجير بن رامون برنجير الأول بحكم الإمارة البرشلونية حتى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، ثم ترك حكم المدينة لابن أخيه الفتى رامون برنجير الثالث الملقب بالبرشلوني **Ramon Berenguer III** (٤٨٥-٥٢٥هـ / ١٠٩٢ - ١١٣٠م) ، فحكم إمارة برشلونة بكفاءة وقاوم هجمات المرابطين^(١).

حاولت القوات المرابطية في عهد أمير برشلونة الأخير ، استرجاع مدينة برشلونة ، إذ أرسلت قواتها البرية في سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م^(٢) ، ثم أرسلت حملة أخرى في سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م ، بقيادة والي مدينة مرسية أبي بكر بن تافلوت^(٣) ، وقد انضمت إليه قوات من مدينة سرقسطة ، وتوجهت هذه القوات مجتمعة إلى برشلونة وحاصرتها ، إلا أن النصراري سرعان ما أتوا لنجدتهم بقيادة الفونسو الأول المحارب **Alfonso el Batallador** (٤٩٩-٥٢٩هـ / ١١٠٥-١١٣٤م) ودخلوا في مواجهة عنيفة مع المسلمين أسفرت عن خسائر لكلا الطرفين ، وقد علق عل ذلك ابن أبي زرع بقوله: ((... وولا مكانه أبا بكر بن

(١) عنان، دول الطوائف، ص ٣٩٤.

(٢) السلاوي، الاستقصا، ٥٨/٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) هو أبو بكر بن إبراهيم المعروف بابن تفلويت ابن عم علي بن يوسف بن تاشفين كان يسكن الصحراء ثم وفد على علي بن يوسف فزوجه أخته وولاه مرسية ثم بلنسية وكانت وفاته بسرقسطة سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م، ابن الخطيب، الإحاطة، ٢١٨/١ - ٢٢١.

إبراهيم بن تافلوت ، وكان عاملاً على مرسية ، فاجتمع إليه من كان بها من الجند إلى جند سرقسطة ، وسار بها إلى برشلونة ، فنزلها وأقام عليها عشرين يوماً حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب أنحاءها وقرأها ، فأتاه ردمير في جيوش كثيرة من حشود لبيط وبرشلونة وبلاد أربونه ، فكانت بينهم حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمئة رجلاً^(١) .

كما أرسل المرابطون حملة أخرى على مدينة برشلونة سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م بقيادة والي مدينة بلنسية الأمير مزدلي^(٢) ، وتمكن من الدخول إليها بعد مواجهات شديدة مع النصارى ، إذ قتل العديد منهم ، وأسر البعض الآخر ، إلا أنه لم يبق طويلاً فيها ، فاكتفى بأخذ الغنائم وانسحب ، ولعل خطورة المنطقة هي التي دعته أن ينسحب من المدينة ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله: ((ثم غزا مزدلي والي بلنسية برجلونة ، وبلغ منها إلى موضع لم يبلغ أحد إليه معها ، فهدم بيعها وزلزل صوامعها ، وأحرق بلادها ، ومزق أجنادها ، وقتل وأسر ، وتغلب حصونها قسراً ، فرجع

(١) الأندلس المطرب، ص ١٦١؛ وحدد أشباح تاريخ هذه الغزوة سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م، ينظر: تاريخ الأندلس، ١/١٤٨.

(٢) هو الأمير أبو محمد مزدلي بن سلنكان ابن عم أمير المرابطيين يوسف بن تاشقين وأحد كبار قادته، تمكن من استرجاع مدينة بلنسية سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م، كما قاد عدة حملات عسكرية ضد النصارى منها حملته على قشتالة سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م التي استشهد فيها، ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٩٠.

وأيدي المسلمين قد امتلأت من غنائم المشركين ، وجلب نواقس وصلباناً وأواني قد كللت فضة وعقياناً ، فأمر أن تركب على تلك النواقيس ثريات ، وتوقد في جامع بلنسية ، فكانت فيه معلقة كأنها السيف في أذان الخرائد مشرقة))^(١).

وفي السنة نفسها قاد والي بلنسية المرابطي محمد بن الحاج^(٢) حملة كبيرة إلى مدينة برشلونة ، أسفرت عن استشهاده ، وقتل عدد كبير من قواته ، وأشار ابن أبي زرع إلى هذه الحملة وأحداثها بالقول: ((... ، فخرج في غزاة له فأخذ على الطريق البرية ، فغنم وسبا وكان معه جماعة من قواد لتونة ، فبعث بالمغنم على الطريق الكبير ، وأخذ هو على الطريق البرية لقربه من بلاد المسلمين ، ومر أكثر الناس مع المغنم ، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لا يسلك إلا عن طريق واحد لصعوبته وشدة وعره ، فلما توسط الأمير محمد بن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق ، وجد النصارا قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، قتال من أيقن بالموت واغتتم الشهادة ، إذ لم يجد منفذا يخلص منه ، فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة ،...))^(٣).

(١) تاريخ الأندلس، ص ١١٠ - ١١١.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحاج أحد قادة المرابطين ولي قرطبة ثم بلنسية، وتغلب على بني هود في سرقسطة، وغزا برشلونة واستشهد فيها سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦٠.

(٣) الأنيس المطرب، ص ١٦٠ - ١٦١.

وقد عرفت هذه المعركة عند المؤرخين النصارى باسم معركة كونجست دي مارتوريل Congost de Martorell^(١).

ويبدو أن حملات المرابطين على مدينة برشلونة ، جاءت لما تشكله إمارة برشلونة من خطر على المناطق الإسلامية ، ولعل مقتل قائد المرابطين في الحملة - المارة الذكر - قد شجع أمير برشلونة رامون برنجير الثالث على عقد حلف في السنة نفسها مع النصارى الممثلين بمدينتي جنوا وبيزا الإيطاليتين ، إذ عقدت هذه الأطراف حلفاً عسكرياً للسيطرة على الجزائر الشرقية^(٢) ، وقد بارك البابا باسكال الثاني (٤٩٣-٥١٢هـ / ١٠٩٩-١١١٨م) هذا المشروع وشجعه^(٣) ، وخرجت هذه القوات باتجاه الجزائر الشرقية في سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م ، من مياه جنوا بأساطيلها البالغة ٣٠٠ سفينة ومعها وحدات بحرية من برشلونة ومن بلاد الإفرنج (فرنسا) وقد رست هذه السفن في مياه كتلونية ، ثم سارت صوب جزيرة يابسة Idiza ، وتمكنت من محاصرتها ، ومن ثم سيطرت عليها ، وبعده توجهت هذه القوات المشتركة إلى جزيرة ميورقة وحاصرتها^(٤) ، وقد علق على ذلك ابن الكردبوس بقوله: ((وفي سنة ثمان وخمسمائة اجتمع أهل بيشه (بيزا) وحنوة وعمروا ثلاثمائة

(١) مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٢٩.

(٢) الحميري، صفة، ص ١٨٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٥٦.

(٣) عنان، دول الطوائف، ص ٢٠٢؛ الحجوي، التاريخ الأندلسي، ص ٤٢٦.

(٤) عنان، دول الطوائف، ص ٢٠٢؛ سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية،

ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

مركب وخرجوا إلى جزيرة يابسة من عمل ميورقة ، فغلبوها وسبوها وانتهبوا ثم انتقلوا إلى جزيرة ميورقة^(١).

وقد حاول أمير الجزائر الشرقية مبشر بن سليمان دفع الخطر عن بلاده ، فعرض عليهم الصلح ، وتعهد بدفع نفقات الحملة ، إلا أن التحالف النصراني رفض هذا العرض ، لذلك لم يكن أمام مبشر إلا الاستعداد لمقاومة الحصار ، وبعث إلى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) يستنجده طالباً مساعده قبل أن تسقط الجزائر الشرقية بأيدي النصارى على إثر الحصار المفروض عليها^(٢) ، وقد استمر الحصار طيلة سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م تقريباً ، وفي أثناء الحصار توفي مبشر بن سليمان ، وتولى الأمر من بعده القائد أبو الربيع سليمان بن لبون^(٣).

ويبدو أن أمير برشلونة رامون برنجير الثالث وقواته لم يستمروا طويلاً مع النصارى في حصارهم جزيرة ميورقة ، إذ اضطروا قبيل سقوط الجزيرة إلى الانسحاب والعودة إلى بلادهم ، وعلى إثر اشتداد القوات المرابطية وحصارهم لمدينة برشلونة في تلك المدة والتي كانت بقيادة محمد بن الحاج^(٤) -المارة الذكر- إلا أن

(١) تاريخ الأندلس، ص ١٢٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٥٧/٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٢٣.

(٤) عنان، دول الطوائف، ص ٢٠٣؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٢٥.

انسحاب نصارى برشلونة من حصار ميورقة ، ووصول القوات المرابطية لاستنقاذها فيما بعد^(١) ، لم يمنع الجزيرة من السقوط ، فاستطاع النصارى يوم ٧ ذي القعدة من سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م دخول جزيرة ميورقة وعملوا فيها الخراب والدمار بعد قتل الكثير من أهلها^(٢).

وكرد فعل على هذه الأعمال الانتقامية ، فقد أرسلت الدولة المرابطية حملات بحرية سنة ٥١١هـ / ١١١٧م إلى مدينة برشلونة لأخذ ثأرهم ، وتمكنت من أسر العديد من أهلها ، كان منهم البربرير Elreverter^(٣) الذي دخل فيما بعد في خدمة المرابطين^(٤).

وفي سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م ساهم نصارى برشلونة مع نصارى أوروبا والأندلس في الحملة العسكرية على سرقسطة إذ كانت هذه الحملة تتكون من الإفرنجية بقيادة جاستون دي بيارن وأخيه سانتولو ، وكانا قد اشتركا في المشرق في الحملة الصليبية الأولى ، كما اشترك في

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٢٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر : سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٤٣ ؛ الفغاي، سقوط دولة الموحيدين، ص ١٧٢ ؛ مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٢٨ - ١٢٩، ١٥٨ - ١٦٠.

(٣) وهو قائد كتلونى أصله من فرسان النبلاء في برشلونة، وقد ابلى في الدفاع عن دولة المرابطين أمام الكوحيدين، قتل في مدينة تلمسان سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م قبل مقتل تافشين بن علي بن يوسف بقليل، ومات معه عدد من الجند النصارى، ينظر : السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٣٨.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٩٣/٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٧.

الحملة ملك أراغون الفونسو الأول المحارب بقواته ، وأيضاً مملكة نافار وبرشلونة وأورقله بقيادة أمراء تلك المناطق ، ومن بين تلك القوات أعداد كبيرة من رجال الدين النصارى من الأساقفة^(١) ، وقد تحدث ابن أبي زرع عن ضخامة أعداد هذه الحملة وقدرها بخمسة آلاف فارس ، ووصفها بأنها كانت أمماً كالنمل والجراد^(٢) ، أما الحميري فقد قدر أعداد تلك الحملة بخمسين ألف فارس^(٣) ، ويبدو أن هذه الحملة اتخذت من مدينة برشلونة قاعدة للتجمع ثم التوجه إلى مدينة سرقسطة ومهاجمتها ، كما لا نستبعد أن تكون المشاركة البرشلونية فيها كبيرة ، وذلك بحكم قربها من سرقسطة ، فضلاً عن وجود المناوشات العسكرية التي تحدث بين نصارى برشلونة والمسلمين في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي بين الحين والآخر.

قامت الجيوش النصرانية بمحاصرة مدينة سرقسطة بعد أن أكملت تحشداتها واستحضاراتها ، حيث وضعوا أبراجاً من الخشب تجري على بكرات وقربوها من أسوار المدينة بعد أن نصبوا فيها الرعدات ووضعو عليها عشرين منجنيقاً^(٤) ، وبعد تسعة أشهر من الحصار الذي بدأ بشهر صفر وحتى شهر رمضان سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م سقطت المدينة^(٥).

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٩٠؛ العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص١٢٢.

٢) الأنيس المطرب، ص١٦٣.

٣) صفة، ص٩٨.

٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٣؛ السلوي، الاستقصا، ٦٧/٢.

٥) الحميري، صفة، ص٩٧-٩٨.

وقد أصبحت سرقسطة عامة مملكة أراغون ، وجعلت مركز أسقفية ومنح سكانها النصارى حقوق وامتيازات ، وكافأ ملك أراغون الفونسو الأول الفرسان الإفرنجية الذين استمروا بمساعدته حتى أخذ المدينة وبخاصة الكونت جاستون دي بيارن ، فقد أقطعه حي سرقسطة الذي كان يقطنه بعض النصارى من قبل ، وأنعم عليه بلقب سيد سرقسطة^(١).

وبذلك أصبحت مملكة أراغون من كبار الممالك النصرانية التي أخذت تمتد وتشمل وادي الأبرو الأدنى والأوسط بعدما كانت إمارة نصرانية صغيرة في جبال البرت^(٢).

وبعد ذلك عمل الفونسو الأول المحارب في سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م ، بإقامة وحدة دينية تتولى إجلاء المسلمين من الأندلس ، فبادرت الكنيسة تبارك هذه الدعوة وتدعو لها ، فأنشأت فرقة (فرسان المعبد Templares) وقد انتظم في سلكها أمير برشلونة الكونت رامون برنجير الثالث ، وأقطعت عدة حصون وأراضي كبيرة على حدود أراغون ، كما احتلت عدد من الحصون في قشتالة ، ونمت هذه الفرقة بسرعة وأخذت تضطلع منذ ذلك الحين بدور هام في سائر المواقع التي حدثت بين المسلمين والنصارى^(٣).

وفي سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م ، حدث تغيير سياسي في إمارة برشلونة ،

(١) أشباح، تاريخ الأندلس، ١٥٢/١.

(٢) الفنيقي، كيف ضاع الإسلام من الأندلس، ص ٢٧.

(٣) عنان، نهاية الأندلس، ص ٧٨.

فقد تولى حكم الإمارة رامون برنجير الرابع Ramon Berenguer V (٥٢٥-٥٥٧هـ / ١١٣٠-١١٦١م)^(١) ، ويبدو أن في بداية توليه الحكم تحسنت علاقة إمارته مع المسلمين ، إذ عقدت الدولة المرابطية معه معاهدة سلام سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م ، ولعل السبب في ذلك ، هو أن المرابطين أرادوا إبعاد برشلونة عن الصراع بينهم وبين مملكة أراغون المتمثلة بالفونسو الأول المحارب وعدم تحالف نصارى برشلونة معه ، لاسيما وأن مملكة أراغون كانت تريد السيطرة على مدينتي أفرافة ولاردة ، لذلك اتفق المرابطون مع أمير برشلونة رامون برنجير الرابع على أن يؤدوا له جزية سنوية قدرها (١٢ ألف دينار) ، إلا أن هذا الاتفاق لم يرضى ملك أراغون ، إذ أقسم بأنه سوف ينتزع البلاد التي تؤدي عنها الجزية ويقطع منفعتها عن الطرفين ، وقد علق ابن القطان على ذلك بقوله: ((... ، رأى ذلك البرشلوني مضاهيهم في الثغر الأعلى فاشرب إلى التغلب على ما يجاوره من البلاد : لاردة وإفرافة وغيرهما ، ونظر لمتونة (المرابطين) إلى ذلك ، فخافوا أن ينفق عليهم فتق آخر من البرشلوني ، فصالحوا البرشلوني باثني عشر ألف دينار يؤدونها له في كل سنة صلحاً عن هذا الثغر الذي يصاقبه ، ويستريحون من شره ، ولا يكابدون حربين ، وذلك عن أمر علي بن يوسف ، ولم يخف عن هذا اللعين ابن رذمير (الفونسو الأول) هذا التدبير فأسفه وغاضبه وقال: هؤلاء الفعال الصناعات يؤدون الأتاوة

(١) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٧.

للصانع الفاعل ، ولو أعطوني أنا درهماً واحداً لأخذته ، ويعلم أني قهرتهم وغلبتهم ، وحلف بأيمان مغلظة عنده: لأنزلن على تلك البلاد التي يؤدون عليها الجزية ، فأصيرها في ملكي ، وأقطع منفعتها عن الفاعل الصانع البرشلوني ، حتى يعلم أهل الأرض أني قهرتهم في كل وجه^(١).

وبعد مدة وجيزة من هذه الأحداث ، اندمجت إمارة برشلونة مع مملكة أراغون سنة ١١٣٧م/٥٣٢هـ ، بعد زواج أمير برشلونة بترونيلا ابنة ملك أراغون راميرو الراهب (٥٢٩-٥٣٢هـ / ١١٣٤-١١٣٧م) (أخو الفونسو الأول المحارب) ، كما تنازل ملك أراغون عن عرشه لصفهه أمير برشلونة ، ولذلك لقب أمير برشلونة رامون برنجير الرابع بكونت برشلونة وأمير أراغون^(٢) ، إلا أنه أعلن بأن يحكم أراغون في ظل ملك قشتالة الفونسو السابع السليطين Alfonso Raimundes (٥٢٠-٥٥٢م/١١٢٦-١١٥٧م) حاله كحال الذي سبقه راميرو الراهب ، إذ كان ملك قشتالة الفونسو السابع قد فرض نوعاً من الهيمنة والسيطرة على بقية أمراء الممالك النصرانية^(٣).

وأشار أرسالن بأن الاتحاد بين برشلونة وأراغون كان سياسياً فقط ، إذ بقيت كلاً من المنطقتين أعلاه محتفظة بلغتها وعاداتها

(١) نظم الجمان، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٣٧ ، ٢٥٧ ؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٦٢ ، ١٨٤.

(٣) أشباح، تاريخ الأندلس، ١/١٧٦ ؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٤٠.

ومشاربها ، ولم يمنع اختلاف الذوق والشرب من الاتفاق في السياسة ، وذلك أن أراغون كانت بسبب برشلونة تتصرف بقوة بحرية هائلة وكبيرة ، كما أن برشلونة بواسطة أراغون كانت تتصرف بقوة برية عظيمة ، فأفادهما الاتحاد فوائد لا تحصى ، لاسيما في إجلاء المسلمين من مناطق الشرق الأندلسي^(١).

وبعد قيام الثورات على الحكم المرابطي في الأندلس منذ سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ، استغل ملك برشلونة وأراغون رامون برنجير الرابع هذه الأوضاع وتمكن من السيطرة على مدينة أفرغة ، فقد أشار المراكشي إلى ذلك بقوله: ((ولما رأى أعيان بلاد تلك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أحوال المرابطين ، أخرجوا من كان عندهم من الولاة ، واستبد كل منهم بضبط بلده ، وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقطاع دولة بني أمية ، فأما بلاد أفرغة فاستولى عليها ملك أرغن -لعنه الله - ،...))^(٢).

ويبدو أن خطورة نصارى برشلونة ، وللحيلولة دون توسعهم إلى مناطق أخرى لاسيما التي تمت السيطرة عليها من بعض قادة الثوار ، ومنهم أمير شرق الأندلس عبد الله بن عياض^(٣) هي التي

(١) التحلل السندي، ٢/٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) المعجب، ص ١٤٦.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن عياض وصفته المصادر أنه أحد الأعيان الصالحين اشتهر بحروبه للنصارى في شرق الأندلس وتولى الثغر الأعلى الأندلسي في أواخر عهد المرابطين وتوفي بعد ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، ابن الأبار، الحلة السيرة، =

دعت الأخير أن يتحالف مع مملكة قشتالة ضدهم ، إذ أرسل ابن عياض عبد الله الثغري^(١) سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ، كسفير له إلى الفونسو السابع ملك قشتالة ليعقد معه حلفاً ضد رامون برنجير الرابع أمير برشلونة^(٢) ، ولا يُستبعد أن يكون الهدف من ذلك هو محاولة منع النصارى من السيطرة على زمام الأمور في الأندلس والعمل على تشتيتهم ، لإضعافهم ، وهي خطوة ذكية من قبل ابن عياض لأنه اعتقد أن كلاً من مملكة قشتالة وإمارة برشلونة أصبحت تشكل خطراً على إمارته الناشئة.

وبعد أن تولى محمد بن سعد بن مردنيش^(٣) الحكم في شرق

= ٢١٩/٢ ؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٣/١٥ ؛

(١) هو عبد الله بن فتوح الثغري كان أحد قادة سيف الدولة بن هود ثم تولى مرسية سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م واشترك مع ابن عياض في محاربة النصارى في الثغر وقتل سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م، ينظر أخباره : ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٢٧/٢ - ٢٣٢ .

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٣١/٢ ؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٨٢ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذكر ابن الأبار أن ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانشيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في شبه جزيرة أيبيريا قبل الفتح، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا إنه اصطدم بالموحدين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسَّ في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن =

الأندلس سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ، اختلف في سياسته عن سابقه ابن عياض ، إذ كون تفاهمات وعلاقات سلمية مع العديد من الدويلات النصرانية من داخل الأندلس وخارجها^(١) ، ولعل الغرض من ذلك التحول السياسي هو تأمين حدود إمارته مع النصارى ، أضف إلى ذلك وجود الخطر الموحي الذي كان يهدد حدوده ، لذلك بادر بعقد معاهدة صلح مع أمير برشلونة رامون برنجير الرابع لمدة أربع سنوات ، كما عقد معاهدة أخرى مع الفونسو السابع ملك قشتالة ، وكان يؤدي لكل من الطرفين ضرائب كبيرة أرهق بها الرعية ، وقد أشار إلى ذلك ابن الخطيب بقوله: ((وأجأه الخروج عن الجماعة ، والانفراد بنفسه إلى الاحتماء بالنصارى ، ومصانعتهم ، والاستعانة بطواغيتهم ، فصالح صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة ، وصالح ملك قشتالة على أخرى ، فكان يبذل لهم في السنة خمسين ألف مثقال ، وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات وحنات للخمور ، وأجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم ،

=يوسف الموحي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٢٣٢ وهامش (١) ص ٢٣٣؛ وعن الحروب بين ابن مردنيش والموحدين ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ١٨٧ - ١٩٦؛ المراكشي، المعجب، ص ١٧٧؛ ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص ٢٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/ ٧٠ - ٧٤؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٢٩ - ٥٨.

(١) ابن خلدون، العبر، ٤/ ١٧١؛ المقري، نصح الطيب، ١/ ٤٤٢ - ٤٤٣.

فعظمت في بلاده المغارم وثقلت...^(١).

ويبدو أن نصارى برشلونة قد استغلوا سياسة السلم التي عقدها مع محمد بن سعد بن مردنيش ، وأخذوا بالتفرغ لمهاجمة المناطق الأندلسية الواقعة تحت نفوذ المرابطين ، ومنها مدينة المرية **Almeria** ، فاشتركوا في الحملة الأوربية للسيطرة عليها ، وكان استهدافهم المرية لأنها تمثل قاعدة الأسطول الإسلامي في الأندلس ، وما تقوم به من غارات متكررة على شواطئ فرنسا وإيطاليا الجنوبية ، لذلك أرسل ملك قشتالة الفونسو السابع أرنولد أسقف مدينة أستورقة **Astorga** إلى الكونت رامون برنجير الرابع أمير برشلونة والكونت جيوم صاحب مونبليه يطلب منهما الاشتراك في هذه الحملة ، إضافة إلى أن الجنويين والبيزيين قد تقاضوا من الفونسو السابع مبلغاً قدره ثلاثون ألف قطعة من الذهب لتجهيز السفن وحددوا ربيع الأول سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م موعداً للتوجه إلى مدينة المرية ، وقد قام الأميران رامون وجيوم بإرسال أمدادهما في الموعد المقرر حسب تعهدهما ، ومنذ شهر مايو جهز الفونسو السابع قواته في مدينة قلعة رباح **Calatrava** ، وأقام فيها استعراضاً عسكرياً للفرق كافة ، إذ كان جيشه يتكون من قوات جليقية وأشتوريس وقشتالة وبرشلونة وأراغون ونافار ، وكان كل فرقة يقودها أمير قائد منهم ، ويتولى الفونسو السابع القيادة المركزية العليا للجيش^(٢).

(١) الإحاطة، ٧١/٢ - ٧٢.

(٢) أهباخ، تاريخ الأندلس، ١/٢٣٣ - ٢٣٤.

قامت هذه القوات بمحاصرة المدينة براً وبحراً ، واستمر الحصار ثلاثة أشهر حتى نفذت الأقوات وانعدمت الميرة مما اضطر أهل المدينة إلى تسليمها إلى الفونسو السابع^(١) ، فدخلت الجيوش المشتركة المدينة يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م^(٢) ، وقد علق ابن الأثير على ذلك بقوله: ((في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، حصر الفرنج مدينة المرية من الأندلس ، وضيقوا عليها براً وبحراً ، فملكوها عنوة ، وأكثروا القتل بها والنهب...))^(٣).

وبعد سقوط مدينة المرية بيد النصارى ، شجعهم هذا الأمر على مهاجمة مدينة طرطوشة القريبة من برشلونة ، والتي كان لها أهمية كبيرة عند النصارى الأسبان ، لكمونها من ثغور الشمال الشرقي البحرية ، أضف إلى ذلك أنها كانت مأوى المسلمين المجاهدين الذين كثيراً ما كانوا يرابطون في هذا الثغر ، ويكررون هجماتهم على إمارة برشلونة وأراغون وشواطئ بلاد الغال ، حتى اعتقد

(١) سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٢٤٩.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ١٤٧؛ ابن الأبار، التكملة، ٥٢/١؛ المقرئ، نوح الطيب، ٤٦١/٤.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٤؛ لم تستمر مدينة المرية طويلاً بأيدي النصارى، إذ سرعان ما تم استرجاعها من قبل الموحدين سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٧١/١؛ سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ٩٧.

النصارى أن المسلمين بطرطوشة ربما يتمكنون من إسقاط إمارة برشلونة ومملكة أراغون ، بل ربما يستطيعون أن يرجعوا مدينة سرقسطة إلى عهدنا الإسلامي^(١) ، ولعل هذا الأمر كان دافعاً كافياً لنصارى برشلونة من أن يهاجموا مدينة طرطوشة ، وفعلاً تمت مهاجمة الأخيرة بمساعدة قوات أسبانية وأوربية وقد باركها البابا أيوجينوس الثالث (٥٤٠-٥٤٨هـ / ١١٤٥-١١٥٣م) ، وتمكنت هذه القوات من السيطرة عليها سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م^(٢).

كما سقطت مدينة لاردة بيد النصارى بقيادة رامون برنجير الرابع أمير برشلونة ، بعد أن توجهت حملة عسكرية إليها ، فكان من الطبيعي أن لا تستطيع الصمود بعد سقوط طرطوشة ، فسقطت هي الأخرى بيد النصارى^(٣) ، وحول مسجدها الأعظم إلى كنيسة ، فضلاً عن مساجد المدينة الأخرى^(٤).

أما عن تاريخ سقوطها ، فذهب ابن غالب وابن الأثير وابن

(١) علام، الدولة الموحدية، ص ١٧٦؛ العمائرية، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٦٨/١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٢٦/٢؛ ابن السباط، صدق الأخبار، ٨٩/١.

(٣) لتفاضيل ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٧٠؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص ١١٥؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٥.

عذاري أنها سقطت سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م^(١) ، فيما ذهبت بعض المراجع المراجع الحديثة إلى أن سقوطها كان سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م^(٢) .
وسقوط هذه القواعد الإسلامية في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي في أيدي النصارى قد انتهت سيادة المسلمين هناك ، فقد كانت هذه القواعد خاضعة لابن مردنيش من الناحية الاسمية على الأقل ، إلا أن ابن مردنيش لم يستطع أن يحميها أو ينجدها ، إذ كان له ارتباط صداقة وهدنة مع الكونت رامون برنجير الرابع أمير برشلونة ، وهو ما يحول دون أي محاولة لإنقاذها ، ومن جهة أخرى كان الدفاع عن هذه القواعد النائية الواقعة في قلب الأراضي النصرانية يعد عملاً صعباً من الناحية العملية ، ولعل هذا الأمر قد أجبر ابن مردنيش إلى عدم إيداء أي محاولة لإنقاذها ، لاسيما وأن إمارته التي شكلها لا تزال حديثة العهد ، كما أنه دخل في خلاف مع الدولة الموحدية Almohades, Los التي تولت أمور الأندلس بعد سقوط الدولة المرابطية.

(١) فرحة الأنفس، ص ١٧؛ الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠؛ وينظر أيضاً: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٤٧/٢.

(٢) ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٧٠؛ العليايوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ١٣٤؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص ١١٥.

ثالثا: في عهد الموحدين

(٥٤٣ - ١١٤٨/٥٦٦٤هـ - ١٢٦٩م)

ورثت الدولة الموحدية عن المرابطين تبعية ثقيلة في الأندلس ، ففي نهاية عهد المرابطين عاد الأندلسيون إلى سابق عاداتهم عند سقوط الخلافة الأموية ، فاستقل كل بناحيته وشكلوا إمارات ودويلات هزيلة كان قوام حياتها التودد إلى النصارى ودفع الأموال والضرائب لهم ، أما الجانب النصراني فقد شهد المزيد من التوحد تحت شعار حرب الاسترداد وبدوافع دينية صليبية ، وكان معظم حروبهم تتم بمباركة البابوية.

عندما عبر الموحدون إلى الأندلس كان عليهم أن يواجهوا أكبر الشائرين في شرق الأندلس وهو محمد بن سعد بن مردنيش ، فعندما أرسل الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٢٩-١١٦٢م) قواته للقضاء على نفوذ ابن مردنيش في شرق الأندلس ، سارع الأخير بالاستنجاد بأمير برشلونة الكونت رامون برنجير الرابع ، وقد تحث ابن الأثير عن ذلك بقوله: ((فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه ، فأرسل إلى ملك برشلونة ، من

بلاد الفرنج ، يخبره ، ويستنجده ، ويستحثه على الوصول إليه ، فسار إليه الفرنجي في عشرة آلاف فارس ، وسار عسكر عبد المؤمن ، فوصلوا إلى حمة بلقوارة ، وبينها وبين مرسية ، التي هي مقر ابن مردنيش ، مرحلة ، فسمعوا بوصول الفرنج ، فرجع وحصر مدينة المرية ، وهي للفرنج ، عدة شهور ، فاشتد الغلاء بالعسكر ، وعدمت الأقوات ، فرحلوا عنها وعادوا إلى إشبيلية فأقاموا بها^(١).

كان أمير برشلونة رامون برنجير الرابع هذا تربطه علاقة مودة وصداقة مع ابن مردنيش أمير منطقة الشرق الأندلسي ، إلا أنه بعد وفاة رامون برنجير ، وتولي ابنه الفونسو الثاني Alfonso II حكم إمارة برشلونة وأراغون(٥٥٧-٥٩٣هـ / ١١٦١-١١٩٦م) ، ساءت العلاقة بينه وبين ابن مردنيش على إثر إصرار الفونسو الثاني على مطالبة ابن مردنيش بالجزية التي كان يدفعها سابقاً لأبيه ، وقد رفض ابن مردنيش ذلك الطلب ، ووصل الأمر بينهما إلى حد أن الفونسو بعث بعض القوات النصرانية التابعة له للاشتراك مع الموحيدين ضد قوات ابن مردنيش في معركة فحص الجلاب سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م والتي خسرها ابن مردنيش^(٢).

إلا أن العلاقة بين ابن مردنيش وأمير برشلونة الفونسو الثاني تحسنت بعد ذلك بوساطة ملك قشتالة الفونسو الثامن Alfonso VIII (٥٥٣-٦١١هـ / ١١٥٨-١٢١٤م) بينهما ، إذ تعهد ابن مردنيش بأداء الجزية

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٧.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحيدين، ق ٢، ص ٤٧.

إلى الفونسو الثاني مقابل تعهد الأخير بعدم مساعدة الجيش الموحيدي ضد ابن مردنيش بأي حال كانت^(١).

إلا أن سياسة السلم بين أمير برشلونة وابن مردنيش لم تستمر طويلاً ، إذ سرعان ما عاد التصادم بينهما ، لاسيما بعد تحالف الفونسو الثاني مع أعداء ابن مردنيش المتمثل بصهره يوسف بن هلال^(٢) ، إذ بعث أمير برشلونة قوة عسكرية من الفرسان النصاري مع يوسف بن هلال لمهاجمة مناطق نفوذ ابن مردنيش المتمثلة بمنطقة بلنسية ، وأخذوا بالإغارة عليها ، وانتزاع بعض حصونها ، إذ أوقعوا الهزيمة بابن مردنيش ، إلا أن الأخير سرعان ما تمكن من إلقاء القبض على يوسف بن هلال ، وقام بسمل عينيه ، ونفي إلى شاطبة إذ بقي فيها إلى أن توفي^(٣).

بعد أن تمكن الموحدون من القضاء على بني مردنيش^(٤) ، أصبحوا على تماس مباشر مع إمارة برشلونة ، وقد حدثت بعض التوترات بينهم وبين حاكم إمارة برشلونة وأراغون بيدرو (بطرة الثاني) Pedro II (٥٩٣-٦١٠هـ / ١١٩٦-١٢١٣م) في عهد الخليفة الموحيدي الناصر (٥٩٥-

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٧.

(٢) هو صهر الأمير محمد بن سعد بن مردنيش، كان شجاعاً حازماً، ولاءه ابن مردنيش حصن مطريشة، ولكنه تمرد عليه، واستعان بالنصاري إلى أن تمكن ابن مردنيش من إلقاء القبض عليه، وكانت وفاته في شاطبة سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٦٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٤) ينظر التفاصيل: جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص١٢٥ - ١٤٧.

٦١٠هـ / ١١٩٨-١٢١٣م) عندما تمكن نصارى برشلونة من الاستيلاء على بعض حصون بلنسية ، وعلى إثرها قام الأسطول الأندلسي وبمشاركة قوات من بلاد المغرب من إلحاق هزيمة كبيرة بنصارى برشلونة سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ، وقد علق على ذلك ابن عذاري بقوله: ((وفيها استولى العدو البرجلوني على حصون من نظر بلنسية ، وغلب عليها بين حصار وقتال ، ونزل له أكثر أهلها على الأمان ، فمنهم من احتمله إلى بلده منهم من وصل إلى الأندلس ، وفيها تحرك السيد أبو العلاء قائد أساطيل البرين إلى بلاد برشلونة بجميع أجفان العدو والأندلس على معاندة ومنافسة من أهل البلاد في الاحتفال ، وتمكن من العدد الوافرة والأموال ، فكانت أحسن حركة للمسلمين ، وأوحش فجيعة وأعمّ وقية جرت على الغزاة البحرين ، وأوقع حسرة كانت في قلوب الكافرين))^(١).

وعلى إثر ذلك خرج حاكم برشلونة وأراغون بطرة الثاني بقواته من منتشون Monzon ومعه فرقة من فرسان المعبد (الداوية) وتوجه جنوباً إلى أراضي مدينة بلنسية ، وتمكن من الاستيلاء على عدة حصون فيها^(٢).

ويبدو أن اعتداءات نصارى برشلونة هذه على المناطق الإسلامية لاسيما في مناطق شرق الأندلس ، قد أجبرت أهالي تلك المناطق أن

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٥٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٥٧ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٨٤.

يشكون حالهم إلى الخليفة الناصر في السنة نفسها ، وقد تحدث عن ذلك ابن عذاري بقوله: ((وفي هذه السنة وصل إلى الناصر جماعة من وجوه شرق الأندلس معرضين بأثار العدو البرشلوني في بلادهم وانتهاكه لطارفهم وتلادهم فقوي عزم الناصر على نصرهم والحركة إليهم وإلى غيرهم فشرع في توطية ما يحتاج إليه بما تقوم به الحركات الثقال والتكشف عما أحدثه الولاة والعمال وخوطف عمال قرطبة وإشبيلية بتجديد العساكر السلطانيات وقدم بعض الخدمة لتوطية السبل وإعداد العلفات والتضييفات وذلك في جميع المراحل والمناهل على العادة الجارية قبل ذلك))^(١).

لم يستكن النصارى بعد هذه الأحداث من اعتداءاتهم بل واصلوا هجماتهم ، وأخذوا بالتجمع في قلعة شلبطرة Salvatierra القريبة من مدينة قلعة رباح ، وهو ما يشكل خطراً على المدن الأندلسية ولاسيما مدن الثغر الأوسط وشرق الأندلس ، لذلك كان من الضروري دفع هذا الخطر ، فأعد الموحدون حملة عسكرية قامت بمهاجمة قلعة شلبطرة ، وتمكنت من الاستيلاء على أرباضها وبعض الحصون القريبة منها ، مثل حصن اللج ، واستمروا بمحاصرتها إحدى وخمسون يوماً إلى أن اضطر النصارى إلى تسليمها ، ومن ثم مغادرتها سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م ، ودخل الموحدون إليها وحولوا كنيسة إلى مسجد^(٢).

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٥٨.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٦؛ الحميري، صفة، ص ١٠٨ - ١١٠؛
ولمزيد من التفاصيل ينظر: الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٤٩١؛ عنان، =

ولعل إجراء المسلمين هذا بتحويل الكنائس إلى مساجد ، قد أثار حفيظة النصارى ، وإن كان من باب التعامل بالمثل إذ أن أغلب مدن الثغر الأعلى التي استولى عليها النصارى تم تحويل مساجدها إلى كنائس^(١) ، ومع ذلك فإن هذا الأمر قد أثار حفيظة النصارى ، وحثهم على التحشيد ضد المسلمين ، كما سارع في وصول الدعم الأوربي إليهم ، وقد أيد البابا أنوسنت الثالث (٥٩٥-٦١٣هـ / ١١٩٨-١٢١٦م) ، هذا التوجه ، وكتب إلى الأساقفة يدعو النصارى في بلاد الغال إلى التطوع لقتال المسلمين ، وبذلك أخذت حروبهم تأخذ الصفة الصليبية^(٢).

أخذت الحشود المتطوعة تأتي تباعاً إلى مدينة طليطلة ، وأصبحت الأخيرة مقراً لتجمع الجيوش النصرانية ، إذ جاءت أعداد كبيرة من المتطوعين الفرنسيين ، فضلاً عن وفود أخرى من المدن الأسبانية ، وكانت المشاركة البرشلونية واضحة فيها ، كما جاء فرسان الولايات القشتالية المختلفة ، وفرسان الجمعيات الدينية ، وهم فرسان قلعة رباح ، وشنّت يا قب **Orden de Santiago La**

=عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩١- ٢٩٢.

(١) ينظر عن تحويل المساجد إلى كنائس من قبل النصارى بعد طرد المسلمين منها على سبيل المثال، مسجد قرطبة ومسجد تطيلة ومسجد سرقسطة ومسجد طليطلة ومسجد إشبيلية، سالم، المساجد في الأندلس، ص٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٢٨؛ الحميري، صفة، ص١٣٧.

والاسبارتية Hospitalarios والداوية(فرسان المعبد) ، واجتمع كذلك سائر القوامس القشتاليين ، ثم التحق بهم المحاربين الصليبيين مع جمع من أنحاء أوروبا لمساعدة نصارى أسبانيا ، وبلغ أعداد هذه الوفود المتطوعة زهاء سبعين ألف مقاتل لمؤازرة الجيوش الأسبانية التي تتألف من جيوش قشتالة وبرشلونة وأراغون ونافار Navarre ، ومن إمدادات من جليقية والبرتغال Portugal ، وتلقى أيضاً ملك قشتالة مقادير من الأموال والسلاح والمؤن أرسلت إليه من أنحاء فرنسا وإيطاليا ، وقد بلغت المحصلة النهائية لهذه الجيوش أكثر من عشرة آلاف فارس ، ومائة ألف من الرجالة ، وقد أمر البابا أنسوسنت الثالث في روما بالصوم ثلاثة أيام ، التماساً لانتصار الجيوش النصرانية في أسبانيا على المسلمين ، وأقيمت الصلوات العامة ، وألقى البابا نفسه موعظة صليبية ، طلب فيها إلى النصارى التضرع إلى الله لنصرة النصرانية^(١).

وقد وصف المراكشي أعداد النصارى ومشاركة حاكم برشلونة بقوله: ((وخرج الأذفنش -لعنه الله- إلى قاصية بلاد الروم ، مستنفرأ من أجا به من عظماء الروم وفرسانهم وذوي النجدة منهم ، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن السام^(٢) ، حتى بلغ نفي ره إلى القسطنطينية ، وجاء معه صاحب بلاد أرغن المعروف

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٤.

(٢) لعله يقصد بذلك الألمان بسبب اشتراك الجيوش الأوربية في هذا التحالف ومنها الجيوش الألمانية ، ينظر : المراكشي، المعجب، ص٢٢٨ (هامش ٥).

بـ البرشونوي -لعنه الله-) (١).

خرجت الجيوش النصرانية من مدينة طليطلة باتجاه الجنوب في ١٧ محرم سنة ٦٠٩هـ / ٢٠ يونية ١٢١٢م ، وكانت تتكون من ثلاثة أقسام ، الأول جيش الطليعة ويتألف من قوات الوافدين وبلغ عددهم ستين ألف مقاتل ، وقدره البعض بمائة ألف مقاتل ، وكان يقوده القائد القشتالي ديجو لوبيت دي هارو ويعاونه عدد من أكابر الأحرار والقوامس ، ويتكون الجيش الثاني من قوات برشلونة وأراغون وفرسان الداوية ، ويقوده بيدرو الثاني حاكم برشلونة وأراغون ، أما الجيش الثالث وهو جيش المؤخرة فكان يتألف من قوات قشتالة وليون والبرتغال وفرسان قلعة رباح وشتت ياقب والأسبترية ويقوده الفونسو الثامن ملك قشتالة ويعاونه عدد من القواد والأحرار وفي مقدمتهم رديك مطران طليطلة (٢).

وبالمقابل أخذت الاستعدادات العسكرية للموحدين ، وقد استنفر الخليفة الناصر الناس من سائر الجهات حتى بلغت أعداد كبيرة لمواجهة التحالف النصراني ، وخرج بقواته من مدينة إشبيلية في سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م باتجاه مدينة جيآن Jaen قاصداً النصرارى ، إذ كانت القوات النصرانية تسير نحو المناطق الأندلسية ، ووصلت في زحفها إلى حصن ملجون ، وهو من الحصون الحدودية الإسلامية ، فتمكنت هذه القوات من السيطرة عليه ، ثم واصلت تقدمها باتجاه

(١) المعجب، ص ٢٢٨.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

مدينة قلعة رباح التي تعد من أكبر وأمنع القواعد الإسلامية في تلك المنطقة^(١).

واجه النصارى بعض العقبات خلال تقدمهم إلى مدينة قلعة رباح ، لاسيما عند نهر أنه Roi Guadiana إذ تقع مدينة قلعة رباح على مقربة من ضفته الجنوبية ، إذ كان المسلمون قد نشروا على جانبه الصنابير والخوازيق الحديدية ، كما أن قلعة رباح كانت تتمتع أيضاً بأسوار وأبراج في منتهى الحصانة ، فضلاً عن مناعتها الطبيعية لوقوعها جنوبي النهر ، إلا أن ذلك لم يمنع النصارى من مهاجمتها ، وفعلاً تمكنوا من أن يحتلوا قسمها الخارجي الذي يجاذي النهر ، وبعدها دخل الطرفان الإسلامي والنصراني حول تسليم قلعة رباح إلى النصارى مقابل منح الأمان لحاميتها ، وقد أيد واليها يوسف بن قادم هذا الرأي لأنه أيقن بعدم جدوى المقاومة ، كما أنه يأس من الاستنجد بالخليفة الناصر ، ويبدو أن ملك قشتالة الفونسو الثامن قد وافق على ذلك ، إلا أن حلفاءه النصارى من برشلونة وأراغون والأجانب الوافدين عارضوا أي تسوية تحقن بها دماء الحامية الإسلامية ، إلا أنه تمت الموافقة بعد ذلك ، على أن يغادر الفرسان المسلمون دون سلاح ، وهكذا تمكن الفونسو الثامن من الاستيلاء على مدينة قلعة رباح سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م^(٢).

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٧.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

كان لسقوط مدينة قلعة رباح بأيدي النصارى أثر كبير على المسلمين ، كما أن الفونسو بعد استيلائه على المدينة ، تمكن من التغلب بسرعة على ما حدث في المعسكر النصراني ، بسبب رحيل بعض الجنود الوافدين على إثر خروج المسلمين من قلعة رباح أحراراً أحياء ، إذ رأى الوافدون أن هذا عملاً غير مبرر ، ولا يتفق مع أغراض الحروب الصليبية ، لذلك نظم الفونسو الثامن بعد ذلك قواته المكونة من قشتالة وبرشلونة وأراغون وجليقية والبرتغال ، كما انظم إليه ملك نافار على الرغم من خصومته القديمة للملك قشتالة ، وبذلك توحدت جهودهم لمواجهة المسلمين^(١).

وعلى إثر ذلك خرج الخليفة الناصر بقواته لمواجهة التحالف النصراني بقيادة الفونسو الثامن ، وقد التقى الطرفان سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، في موضع عرف بالعقاب Las Navas de Tolosa بين مدينتي جيان وقلعة رباح ، وفيها خسر المسلمون المعركة وقتل أعداد كبيرة منهم^(٢) ، وعلى ضوء هذه المعركة تغير ميزان القوى ، ولم يعد بمقدور الموحديين حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى ، وقد تحدث ابن خلدون عن دور حاكم برشلونة في هذه المعركة بقوله: ((... ، وجاء طاغية برشلونة مددا بنفسه ، فكانت الدبرة على

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: المراكشي، المعجب، ص٢٣٠؛ الحميري، صفة، ص١٣٧ - ١٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٧٠؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص٤٩١ وما بعدها.

المسلمين ، وانكشفوا في يوم بلاء وتمحيص أواخر صفر سنة تسع وستمائة ،...))^(١).

في حين أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((... ، فلما ورد على أذفونش البرشلوني أخزاهما الله تعالى بثلاثة آلاف فارس ولت جموع المسلمين فمشت الهزيمة عليهم ،...))^(٢) ، وبذلك فإن دخول الجيش البرشلوني المعركة أدى إلى تغيير ميزان القوى وحسم المعركة لصالح النصارى ، وهو ما يعكس مكانة الإمارة البرشلونية على الساحة الأسبانية.

صمم النصارى بعد معركة العقاب على انتزاع المدن الأندلسية الواحد تلو الأخرى من أيدي المسلمين ، وبخصوص إسهامات نصارى برشلونة ، ففي سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م ظهرت في مياه جزيرة يابسة سفينة من برشلونة ، وأخرى من طرطوشة ، وعلى إثر ذلك بعث أمير الجزائر الشرقية أبو يحيى بن يحيى بن أبي عمران التينملي ولده في عدة قطع بحرية ، فرسى في مياه يابسة ، فوجد فيها مركباً يعود إلى مدينة جنوا الإيطالية فتمكن من الاستيلاء عليه ، ثم استولى بعد ذلك على السفينة البرشلونية ، وعندما علم النصارى بذلك حرضوا حاكم برشلونة وأراغون خايمي الأول الملقب بالفتح Elconquistador (٦١٠-٦٧٥ هـ / ١٢١٣-١٢٧٦م) بأن يقوم بغزو الجزيرة ، وعرضوا عليه أن يتطوعوا بأنفسهم وأموالهم ، فأخذ العهد عليهم بذلك ، وحشد من

(١) العبر، ٦/٢٥١.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٣.

أهل البلاد عشرين ألفاً ، وجُهِز في البحر ستة عشر ألفاً آخرين ، وكان ذلك في أوائل سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م^(١).

ويبدو أن الذي شجع حاكم برشلونة وأراغون خايمي الأول على مهاجمة المناطق الأندلسية ، هو انهيار سلطة الموحدين في الأندلس على إثر اضطراب الفتنة بقيام الثورات فيها ، أضف إلى ذلك وصول والي مدينة بلنسية وبياسة الموحدى أبو زيد البياسى^(٢) إلى مدينة

(١) المقري، نوح الطيب، ٨٤/٢ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٣.
(٢) بعد هزيمة الموحدين في العقاب دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر ابنه المستنصر بالله الذي حكم حتى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م إذ تولى فجأة فبايع أهل مراکش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠ - ٦٢١هـ / ١٢٢٣ - ١٢٢٤م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية بالأندلس فدعا أشيخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م وتلقب بالعدل (٦٢١ - ٦٢٤هـ / ١٢٢٤ - ١٢٢٦م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراکش والأخرى في إشبيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العدل أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن خلع بيعة العدل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيان وأبدة وبياسة، وتلقب بالبياسى لأنه اتخذها مقراً له، وراسل البياسى ملك قشتالة يطلب الخضوع والطاعة وأن يسلم إليه قسبة المدينة لقاء مساعدته، كما أنه ارتقى إلى حد النخاع في الاستعانة بالنصارى نكاية بخصومه، وقد سارع النصارى بمساعدته للحيلولة دون توحد المسلمين ولضرب بعضهم ببعض، وحاول=

برشلونة على إثر انشقاقه عن الموحديين ، وتحرضه لخايي الأول بضرورة مهاجمة المدن الأندلسية وقيامه بإطلاع النصارى على نقاط الضعف عند المسلمين^(١).

جهز حاكم برشلونة وأراغون خايي الأول حملة عسكرية لافتتاح الجزائر الشرقية ، وقد استدعى الكورتيس القطلونية في برشلونة سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، وقد أشار على الأخير بأن يقوم بحملة ضد جزيرة ميورقة التابعة للجزائر الشرقية لغرض افتتاحها والسيطرة عليها ، وذلك لتأمين تجارة برشلونة في البحر المتوسط ، وقد وافق الكورتيس على هذا الطلب ، وانضم أكابر الأبحار والرهبان إلى هذه الحملة ، وأن يشتركوا بأنفسهم وبعين يحشدونه من الفرسان والجند كل حسب مقدرته وطاقته ، كما تقدم أكابر الأشراف القطلان وفي مقدمتهم نونيو سانثيز كونت روسيون ، وهو جو دي أمبرياس ، والأخان رامون وجلين دي مونكادا ، وغيرهم من الأكابر أن يشتركوا في هذه الحملة بأعداد كبيرة من الفرسان والرماة والجند ، فقبل

=البياسي السيطرة على إشبيلية إلا أن الخليفة العادل الموحدى تمكن أخيراً من هزيمته، فارتد إلى قرطبة للاحتمااء بحلفائه النصارى إلا أن أهالي قرطبة رفضوا دخوله المدينة وثاروا به وقتلوه وذلك سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٣ - ٢٧٤؛ الحميري، صفة، ص ٥٧ - ٥٨ ؛ ابن عذري، البيان المغرب، قسم الموحديين، ص ٢٧ - ٢٧١؛ عنان، عصر المرابطين والموحديين، ق ٢، ص ٣٤٩ - ٣٦١.

(١) ابن خلدون، العبر، ١٧٢/٤ - ١٧٣ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحديين، ق ٢، ص ٤٠٤.

حاكم برشلونة وأراغون بهذه المشاركة ، وتعهد من جانبه بأن يقدم مائتي فارس من أهل برشلونة وأراغون بجيولهم وسلاحهم ، كما تعهد بتقسيم الأراضي المفتوحة ، والغنائم المكتسبة بالعدل بين المشتركين في هذه الحملة كل وفق ما تكبده من النفقات ، محتفظاً لنفسه بالقصور والسيادة العليا على الحصون والقلاع ، وأقسم الجميع على ذلك ، واتفقوا على الاجتماع في مدينة طرطوشة بعد إتمام العدة^(١).

وفي ١٤ شوال سنة ٦٢٦هـ/سبتمبر ١٢٢٨م خرج أسطول برشلونة وأراغون بقوات كبيرة من ثغور سالو وطركونة وكامبريلس ، يتكون من مائة وخمس وخمسين سفينة حربية ، وعدد من القطع الخفيفة ، وكان يقودها بحارة مغامرون من الجنوبيين وغيرهم ، وبلغ عدد المقاتلين ألفاً وخمسمائة من الفرسان وخمسة عشر ألفاً من المشاة ، بالإضافة إلى حشود المتطوعين من أهل جنوا وبيروفانس Provence وغيرهم ، وسارت هذه الحملة إلى خليج الما ، وهو الذي تقع عليه مدينة ميورقة عاصمة الجزيرة ، وكان والي المدينة آنذاك هو أبو يحيى بن أبي عمران ، فلما علم بهذه الحملة الضخمة ، قام من جانبه بالاستعداد للدفاع عن ملكه ، وتمكن من أن يحشد قوة مكونة من ألف فارس ، وكذلك من فرسان الرعية والحضر ألفاً أخرى ، ومن الرجال ثمانية عشر ألفاً ، وتأهبت هذه

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٤.

الحشود لدفع النصارى^(١) ، ولكن السفن النصرانية استطاعت أن تدخل مياه الخليج ليلاً ويمتهدى السرعة ، وأن القوات الإسلامية التي أرسلت لمنعها والمكونة من مائتي فارس وخمسة آلاف راجل لم تستطع من منعها ، إذ كان أول من نزل إلى البر قوة مكونة من سبعمئة مقاتل من النصارى بقيادة برناردو دي ارختونا ، وقد تحصنت بإحدى التلال ، وتبعها فرقة أخرى من فرسان رامون دي مونكادا ، وهاجمت الحلة الإسلامية المقابلة ، ففرقتها ، ثم نزل الفرسان من برشلونة وبعض طوائف أراغون ، وهنا وقعت أول معركة بين الطرفين - الإسلامي والنصراني - وقد بادر المسلمون حالاً بالهجوم على النصارى بعد أن استجمعوا قواهم ، وتمكنوا من هزيمتهم هزيمة شديدة ، إذ قتل منهم عدد من الأشراف والفرسان البرشلونيين ، وفي مقدمتهم جلين دي مونكادا وأخوه رامون ، وبسبب ذلك فقد هرعت إمدادات من النصارى لإنقاذ الفارين من المعركة^(٢).

وبعد ما ضرب النصارى الحصار حول مدينة ميورقة ، وأخذوا يضرّبونها بمختلف الآلات بشدة ، ورد المسلمون على ذلك بأن دفعوا قوة منهم حاولت أن تقطع المياه الذي يمد الحلة النصرانية من الجبل ، فهاجمها النصارى وقتلوا عدداً منها ، إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما استطاع النصارى أن يقتربوا من الأسوار ، وأن

(١) المقري، نفع الطيب، ٥٨٤/٢؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٥.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٥.

يحطموا أربعة من الأبراج ، لذلك رأى الوالي أبو يحيى أن لا خيار سوى المفاوضة على تسليم المدينة ، فبعث إلى حاكم برشلونة وأراغون خايبي الأول عن طريق نونيو سانشيز أحد أقطاب الحملة يعاونه يهودي من سرقسطة يسمى باشول كان يعرف العربية ، يعرض عليه ثمناً مقابل انسحاب حاكم برشلونة وأراغون ، وذلك بأن يؤدي إليه سائر نفقات الحملة ، منذ أن خرجت من ثغر طركونة إلى يوم انسحابها ، ولكن خايبي الأول رفض ذلك وأصر على أخذ المدينة والدخول إليها ، وبعدها عرض أبو يحيى على خايبي الأول طلب آخر بأن يقوم بتسليم المدينة مقابل أن يسمح له بالخروج إلى المغرب مع أهله وحشمه وأمواله ، وأن تترك له السفن التي تحمله إلى شاطئ إفريقيا ، وأن يبقى في الجزيرة من شاء من أهلها المسلمين ، ولكن خايبي الأول رفض هذا العرض أيضاً تحت ضغط الزعماء البرشلونيين لأنهم كانوا يريدون الانتقام لآل مونكادا ، والاستيلاء على غنائم المدينة وثرواتها^(١).

وفعلاً هاجم النصارى المدينة محاولين اقتحامها ، فما كان من أبي يحيى إلا أن يدافع عنها ، وقد أحدث النصارى بعد هجومهم ثلثة في السور ، واقتحموا المدينة ، فلقبهم المسلمون في داخلها ، وحدث القتال بينهما في الميادين والشوارع وكانت مواجهة عنيفة ، وكان الوالي أبو يحيى على رأس جنده يحثهم على الثبات ، كما أن خايبي الأول دخل أيضاً أمام جنده في المدينة ، وهو شاهر سيفه ،

(١) المقرئ، نصح الطيب، ٢/٥٨٥ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٦.

ولم يمض سوى وقت قليل حتى ظهر التفكك في صفوف المسلمين ، وأخذوا بالفرار من أبواب المدينة ، والنصارى في إثرهم يعنون فيهم قتلاً ، وتقدر الرواية الإسلامية عدد قتلى المسلمين خلال هذه المعركة بأربعة وعشرين ألفاً^(١).

أما الرواية النصرانية ، فتقدر من هلك فيها من المسلمين بثلاثين ألفاً ، والبعض الآخر يقدرها بخمسين ألفاً^(٢) ، وعلى الرغم من المبالغة في هذه الأرقام لأن عدد القوات المهاجمة والمدافعة المارة الذكر لم تبلغ ذلك ، إلا أنها تعكس شراسة المعركة واستماتة الطرفين وارتفاع الخسائر البشرية فيها.

كان استيلاء النصارى على ميورقة سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م^(٣) ، بعدها دخل حاكم برشلونة وأراغون خايبي الأول المدينة ، وأتى بالوالي أبي يحيى وأمر بتعذيبه حتى توفي ، وقد علق الحميري على هذه الأحداث بقوله: ((ثم إن الطاغية البرشلونى تحرك إلى ميورقة عازماً عليها ، فنزل عليها أسطوله في شوال سنة ٦٢٦هـ ، فأراها من القتال وشدة الحصار وأنواع المحن ما لم يجبر مثله في زمان ، وحكم عليها عنوةً بعد طول الحصار والقتل والسبى ، ثم أخذ واليها ابن يحيى فعذبه أشد العذاب حتى مات ، واستولى الشرك على الجزيرة في عام ٦٢٧هـ))^(٤).

(١) المقري، نضح الطيب، ٥٨٥/٢ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٦.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٧.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١٣٣/١ - ١٣٤ ؛ الحميري، صفة، ص١٩١.

(٤) صفة، ص١٩١.

وهكذا فقد المسلمون جزيرة ميورقة كبرى الجزائر الشرقية ، بعد أن حكمها المسلمون أكثر من خمسة قرون ، وكان لافتتاحها وقع عميق في الأمم البحرية النصرانية في البحر المتوسط ، بعدها عاد خايي الأول إلى برشلونة وأراغون مبتهجاً بنصره ، بعد أن قضى في غزوته هذه خمسة عشر شهراً ، وقد لقب منذ ذلك التاريخ بالفاتح^(١).

ويبدو أن سقوط جزيرة ميورقة ، قد شجع النصارى على مهاجمة جزيرة يابسة ، وهي صغرى الجزائر الشرقية ، وتقع جنوبي غربي ميورقة ، وقد تمكنت قوات برشلونة وأراغون من النزول بها سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م ، إلا أن أهلها المسلمون قاوموا هذا الاعتداء ، واستمر الصراع بين الطرفين نحو خمسة أشهر ، وانتهى بتسليم المسلمين واستيلاء النصارى على الجزيرة^(٢).

بعد هذا النصر ، أدرك حاكم برشلونة وأراغون خايي الأول مدى الضعف الذي يعاني منه المسلمون ، وأن الدولة الموحدية الراحية لهم هي في حالة انهيار ، وأن الأندلس أخذت تمر بالمرحلة الرابعة من تجربة دويلات الطوائف^(٣) ، وهو ما شجعه على مهاجمة مدينة

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣١٨/٢؛ الحميري، صفة، ص١٨٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٧٥-٢٧٧.

(٣) مرت الأندلس بأربعة مراحل بما يسمى بعصر الطوائف، كانت الأولى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، والثانية بعد سقوط الخلافة الأموية، والثالثة بعد انهيار الدولة المرابطية، والرابعة بعد انحسار نفوذ الدولة الموحدية عن الأندلس.

بلنسية الواقعة في الشرق الأندلسي ، والتي كانت تحت حكم زيان ابن مردنيش ، وقد وجد خايي فرصة مناسبة له ، فبدأ باستغلال الأوضاع المتردية في الأندلس ، وياشر بالتخطيط لمهاجمة بلنسية ، وفي المقابل فإن حاكمها زيان بن مردنيش شرع بتحشيد قواته والاستعداد للتصدي لقوات برشلونة وأراغون^(١).

ويبدو أن هناك عدة دوافع دعت حاكم برشلونة وأراغون لمهاجمة بلنسية والسيطرة عليها ، منها هو التنافس بين ملوك أسبانيا لاسيما خايي الأول وفرناندو الثالث ملك قشتالة (٦١٤ - ٦٥٠هـ / ١٢١٦-١٢٥٢م) على تحقيق الغنائم من المدن الإسلامية في الأندلس^(٢) ، أضف إلى ذلك حالة المسلمين في الأندلس ، فهناك التنافس بين محمد بن يوسف بن الأحمر (٦٣٥ - ٦٧١هـ / ١٢٣٨ - ١٢٧٢م) ، ومحمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل^(٣) ، فضلاً عن زيان بن مردنيش وبقايا الموحدين ، وهؤلاء في حالة صراع شديد لاسيما بعد هروب الأمير الموحيدي أبو زيد البياسي من مدينة بلنسية إلى النصارى - كما مرّ ذكره - والذي قام بتشجيع حاكم برشلونة وأراغون على غزوها^(٤) ، كما أن سقوط قرطبة بيد ملك

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ١٧٥/٢ - ١٧٦.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٣٩٩.

(٣) عبد القادر، الأندلس في نهاية عهد بني الأحمر، ص٢٠.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣٠٤/٢ ؛ المقري، نفع الطيب، ٤٥٦/٤.

قشتالة فرناندو الثالث Fernando III سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م^(١) ، حفز هذا الأمر حاكم برشلونة وأراغون لأن يحصل هو الآخر على غنيمة بمستوى قرطبة من حيث الأهمية ، كذلك من الأسباب الأخرى هو مباركة البابا جريجوري التاسع (٦٢٤ - ٦٣٨هـ / ١٢٢٧-١٢٤١م) لخطة احتلال مدينة بلنسية ، وعلى إثر مباركة البابا ، جاء إلى برشلونة الكثير من الفرسان والمقاتلين الأوربيين ، استجابة لهذه الدعوة ، كذلك تم تقديم الدعم المالي لها^(٢).

ظهرت بوادر هذه الحملة سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م ، عندما قام خايبي الأول بمهاجمة موقع حصن أنيشة ، وكان الأمير زيان قد أدرك خطر وقوعه بيد النصارى فأمر بهدمه ، إلا أن ذلك لم يمنع خايبي الأول من احتلاله ، وشرعت قواته بشن الغارات على مختلف نواحي بلنسية ، وعلى إثر ذلك حشد زيان قواته وسار إلى حصن أنيشة Montesa ، حيث دارت هناك سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م معركة شديدة بين الطرفين انتهت بهزيمة المسلمين^(٣).

شجع هذا الانتصار خايبي الأول على المضي بخطته ، فتقدم بقواته التي كانت تضم أيضاً حشوداً القوات الإفريقية

(١) ابن الأبار، التكملة، ٨٧/١ ؛ الحميري، صفة، ص ١٥٨ ؛ أبي أبي زرع، الأندلس

المطرب، ص ٢٧٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٧٦/٤ .

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤٣٩ .

(٣) الحميري، صفة، ص ٣٢ ؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١١٩ - ١٢٠ ؛ ابن

خلدون، العبر، ١٧٢/٤ .

والإنجليزية^(١) ، وقد قدرت هذه القوات بعشرة آلاف مقاتل ، وقامت بمحاصرة مدينة بلنسية سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م ، وشرع الأمير زيان بطلب النجدات من المسلمين داخل الأندلس وخارجها ، إلا أن إحكام النصارى للحصار حول المدينة حال دون وصول النجدة إليها^(٢) .

ومع ذلك واصل أهالي بلنسية بقيادة الأمير زيان الدفاع عن المدينة بكل بسالة ، ودخلوا مع النصارى في عدة معارك ، أصيب في إحداها حاكم برشلونة وأراغون خايمي الأول بجرح في رأسه ، واستمرت المقاومة من جانب المسلمين والحصار من جانب النصارى لمدة خمسة أشهر حتى انعدمت الأقوات والمؤن ، وتعرضت الأسوار والأبراج للهدم ، فقرر كبار أهالي المدينة وعلى رأسهم زيان بتسليمها عبر المفاوضات قبل أن يقتحمها النصارى ، فجرى التفاوض مع حاكم برشلونة وأراغون في شروط التسليم ، وتم الاتفاق على أن تسلم صلحاً ويغادرها المسلمون ، ثم التقى الأمير زيان بحاكم برشلونة وأراغون خايمي الأول ووقعا معاً شروط التسليم يوم السابع عشر من صفر سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م^(٣) .

وقد وصف لنا هذه الحالة المأساوية ابن الأبار إذ كان شاهد عيان

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ١٧٥/٢ - ١٧٦ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص ٤٤٤ .

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٨ .

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٣٠٣/٢ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٧٣ .

بقوله: ((ثمَّ ملكها الروم ثانية بعد أن حاصرها الطاغية جاقم
البرشلوني من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس
وثلاثين وستمائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست
وثلاثين وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان بن مدافع بن يوسف
بن سعد الجذامي من المدينة وهو يومئذ أميرها في أهل بيته ووجوه
الطلبة والجند وأقبل الطاغية وقد تزيت بأحسن زي في عظماء قومه
من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة فتلاقيا بالولجة واتفقا على
أن يتسلم الطاغية البلد سلماً لعشرين يوماً ينتقل أهله أثناءها
بأموالهم وأسبابهم ، وحضرت ذلك كله وتوليت العقد عن أبي
جميل في ذلك وابتدئ بضعفة الناس وسيروا في البحر إلى نواحي
دانية واتصل انتقل سائرهم براً وبحراً ، وصبيحة يوم الجمعة السابع
والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر
في طائفة يسيرة أقامت معه وعند ذلك استولى عليها الروم أحانهم
الله))^(١).

غادر الأمير أبو جميل زيان بلنسية إلى دانية لأنها كانت ضمن
نفوذه ويحكمها باسمه ابن عمه محمد بن سبيع بن يوسف^(٢) ،
وذلك في رجب من سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨هـ ودعا بها للأمير أبي زكريا
الحفصي^(٣) ، وأشار ابن الخطيب إلى أن نزول أبو جميل زيان دانية

(١) الرحلة السيرة، ١٢٧/٢.

(٢) ابن الأبار، الرحلة السيرة، ٣١٧/٢ ؛ ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ق، ٢، ص ٢٤٢.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق، ٢، ص ٤٥٦.

كان بالاتفاق مع الملك خايبي الأول^(١) ، وخلال وجوده في دانية عرض على الملك خايبي أن يسلمه حصن لقتت على أن يمنحه حكم جزيرة منورقة باسمه ، فرفض الأخير ذلك لأن لقتت لا تدخل ضمن نطاق فتوحاته حسب الاتفاق بينه وبين ملك قشتالة^(٢) ، عندها اضطر الأمير أبو جميل زيان إلى البحث عن ملاذ أمن.

كانت مدينة مرسية تحت نفوذ محمد بن يوسف بن هود الجذامي فلما توفي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م بايع أهل مرسية ابنه أبو بكر ابن هود وتلقب بعضد الدولة إلا أن عهده لم يدم طويلاً إذ ثار به أهل المدينة وجعلوا مكانه أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن محمد ابن خطاب الذي دعا لنفسه وتلقب بضياء الدولة وذلك في محرم من سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م ، إلا أنه لم يهنأ بذلك ، إذ هاجمه نصارى برشلونة وأراغون وأوقعوا به الهزيمة ، عندها ثار عليه أهل مرسية واستدعوا الأمير أبا جميل زيان الذي كان في دانية يرقب الأحداث في مرسية ، فسارع إليها ودخلها وقبض على أميرها أبا بكر عزيز وقتله وذلك في رمضان من السنة نفسها^(٣).

وفي مرسية دعا الأمير أبو جميل زيان للحفصيين في إفريقية

(١) أعلام الأعلام، ق٢، ص٢٤٢ (ويسميه حاقمه).

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٥٧.

(٣) ابن الأبار، الرحلة السرياء، ٣١٠/٢ ؛ ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ق٢،

ص٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٥٦ - ٤٥٧.

ويقي فيها حوالي سنتين حاول خلالها استرضاء ملك قشتالة فراندة الثالث (٦١١-٦٥٠هـ/١٢١٤-١٢٥٢م) لعقد سلم معه ، وذلك لأن مرسية كانت ضمن نطاق فتوحاته حسب الاتفاق بين مملكتي قشتالة وأراغون ، إلا أنه لم يوفق في ذلك بسبب اضطراب أحوال الأندلس وكثرة الثائرين وتريص ملوك النصارى بها ، فهاجمها الوثائق بالله محمد بن هود وتمكن بمساعدة أهل مرسية من دخولها وأخرج الأمير زيان منها الذي انتقل بأهله إلى لقنت وذلك سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م وبقي في لقنت حتى سنة ٦٤٤هـ ١٢٤٦م ، إذ هاجمها ملك برشلونة وأراغون خايمي الأول وتمن من الاستيلاء عليها ، فخرج الأمير زيان بعدها إلى تونس ، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله: ((ثم هلك ابن هود وانتقض أهل مرسية على ابنه أبي بكر الوثائق ، وكان واليه بها أبو بكر بن خطّاب ، فبعثوا إلى زيان واستدعوه فدخلها وانتهب قصرها وحملهم على البيعة للأمير أبي زكريا على ولاية شرق الأندلس كله ، وذلك سنة سبع وثلاثين ، ثم انتقض عليه ابن عصام بأربولة ولحق به قرابة زيان بمدينة لقنت فلم يزل بها إلى أن أخذها منه طاغية برشلونة سنة أربع وأربعين فأجاز إلى تونس ، وبها مات سنة ثمان وستين))^(١).

وهكذا استولى الملك خايمي الأول خلال أعوام قليلة على معظم قواعد شرق الأندلس ولم تبق سوى مرسية التي -كما مرّ بنا- كانت

(١) ابن خلدون، العبر، ٢١٥/٤.

تحت نفوذ محمد بن هود بعد أن طرد منها الأمير أبو جميل زيان سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م ، وحاول ابن هود الاحتفاظ بمرسية ودفع أطماع ملك برشلونة وأراغون خايمي الأول عن طريق التقرب إلى ملك قشتالة إلا أن الأخير لم يلتزم بوعدده ، فطلب مساعدة محمد بن نصر بن الأحمر ملك غرناطة الذي أرسل إليه فرقة من الجند بقيادة صهره أبي محمد بن أشقيلولة وتمكن من ضبط أمورها وخطب بها لابن الأحمر^(١).

واستمر الواثق بالله بن هود في مرسية بمساعدة ابن الأحمر حتى سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م ، وكان خلال تلك المدة يدفع الجزية للنصارى الذين استولوا على قسبة المدينة ووضعوا فيها جندهم ، إلا أنهم ضايقوا أهالي المدينة فناروا عليهم وحاصروهم وطردهم من القسبة وطلبوا مساعدة ابن الأحمر الذي أرسل ابن أشقيلولة الذي التقى مع النصارى ، إلا أنه لم يتمكن من الصمود فانهمز تاركاً مدينة مرسية تواجه مصيرها ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((وكان أيضاً أهل شرق الأندلس صالحوا الروم بمال معلوم يدفعونه لهم في كل عام ، وأعطى أهل مرسية قصبتهم للروم الذي هو قصرهم إلى أن وصلهم الروم الساكنون فيه بأذاهم وضرهم فأخرجوهم في هذه السنة - أي سنة ٦٦٢هـ - منه بالقتال لهم والحصار ، وسموهم عندهم قيمة القصر ، فقاموا على النصارى

(١) عنان، عصر المرلبطين والموحدين، ق٢، ص٤٦٢.

وضيقوا بالحصار عليهم ، وحينئذ أخرجوهم بعد ما ألقوا السلاح إليهم ، وكتب أهل مرسية إلى الأمير ابن الأحمر ببيعتهم فبعث الرئيس أبا محمد بن أشقيلولة إليهم والياً عليهم فزحف النصرارى إليها ، ونزلوا عليها فبقي الرئيس فيها محصوراً ، وفي نفسه مقهوراً ، فخرج منها ورجله فراراً ، فلم يجد أهل مرسية بعده حماة ولا أنصاراً ، فضاقت عليهم أحوالهم ، بما أصابهم من العدو ونالهم ، وطال عليهم حصارهم وعدموا حماتهم وأنصارهم ، فأعطوا مرسية للنصارى...^(١).

وكان الذي تولى اقتحام مدينة مرسية خايي الأول ملك أراغون وبرشلونة إذ تفاهم مع ملك قشتالة الفونسو العاشر (٦٥٠-٦٨١هـ / ١٢٥٢-١٢٨٢م) الذي كان مريضاً أن يتولى خايي الأول فتح مرسية ، فجهز حملة قوية سار بها جنوباً وضرب الحصار عليها وضيقوا عليها وقطعوا عنها الإمدادات ، واستمر الحصار بضعة أشهر ، فلما عجز أميرها الوثائق بالله بن هود عن المقاومة اضطر إلى تسليم المدينة ، فدخلها الملك البرشلوني خايي الأول سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٩م^(٢).

وذكر ابن خلدون رواية عن سقوط مدينة مرسية فيها بعض الاختلاف ، إذ أشار إلى أن الأمير زيان بعد تغلبه على مرسية وقتله ابن خطاب بقي فيها بضعة أشهر فدخلها محمد بن هود وأخرج منها الأمير زيان وتلقب ببهاء الدولة وبقي فيها حتى وفاته

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٣٢.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤٦٣.

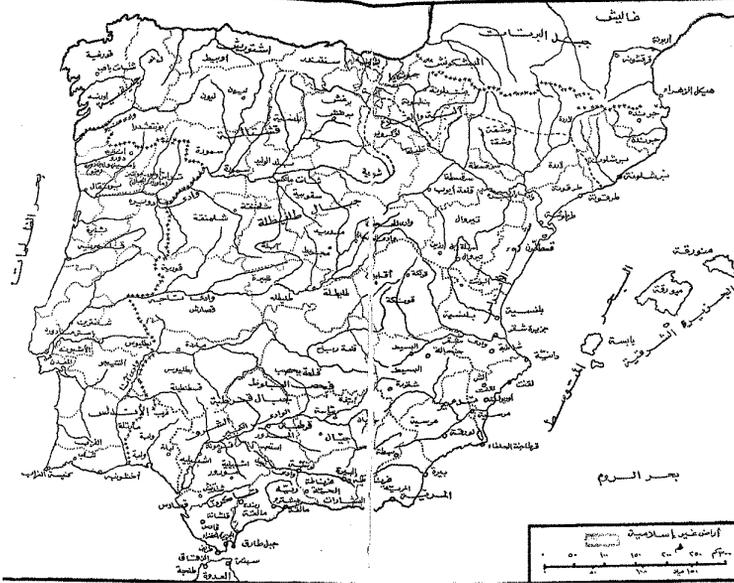
سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م ، فتولى بعده ابنه الأمير أبو جعفر وبقي يحكمها إلى سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤هـ إذ أخرجه منها الواثق بالله بن هود وبقي بها أميراً ، فلما ضايقته قوات ملك برشلونة طلب مساعدة ابن الأحمر فبعث إليه ابن أشقيلولة وخطب بها لابن الأحمر ، ثم خرج منها وملكها الواثق بالله ثالثة فلم يزل بها حتى تملكها النصارى سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م^(١).

وبذلك استولى ملك برشلونة وأراغون خايمي الأول على سائر الشرق الأندلسي ومدنه المهمة بعد أكثر من خمسة قرون من الحكم الإسلامي لها^(٢) ، وقدر لمدينة برشلونة التي كانت أول القواعد المهمة سقوطاً بيد النصارى سنة ١١٨٥هـ / ١٨٠١م أن تقود حرب الاسترداد ضد المسلمين في شرق الأندلس ، وأن تنجح في ذلك بعد صراع مرير وحروب طاحنة دامت أكثر من أربعة قرون.

(١) العبر، ٤/٢١٨.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٦٤.

الخارطة عن: كولان، الأندلس، ص ٧٩.



مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر الأولية:

- ١- ابن الأثير، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) - التكملة لكتاب الصلاة، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٢- الحلة السيرا، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٣- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٤- الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط١، دمشق، ٢٠١٥م.
- ٥- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
- ٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٧- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتري (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)
- ٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٩- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ١٠- المسالك والممالك، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١١- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

- ٧- فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ابن بلقين، عبد الله (آخر أمراء بني زيري بغرناطة ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ٨- مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق إ- ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م.
- بنيامين التطيلي، بنيامين بن الرباعي يونة النباري (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)
- ٩- رحلة بنيامين التطيلي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
- ١٠- رحلة ابن جبير، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- الجوهري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م)
- ١١- الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، ط١، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ١٢- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٣- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٤- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت ٢٠٠٤م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م)
- ١٥- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر

- الأقطار، نشرها وصححها وعلق حواشيها إ- ليفي بروفنسال، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ١٦- صورة الأرض، ط٢، مطبعة برييل، ليدن، ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)
- ١٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م
(تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ١٨- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م)
تحقيق محمود علي مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
- ١٩- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ -
٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الأفاق الجديدة،
المغرب، ١٩٩٠م.
- ٢٠- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)،
تحقيق ب. شاميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد
العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ٢١- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ -
٩٧٤م)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجري، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت
٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- ٢٢- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١،
الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ج ١، ١٩٧٣م، ج ٢، ١٩٧٤م.
- ٢٣- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى
بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق إ- ليفي بروفنسال، دار
المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- ٢٤- اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب،

القاهرة، ١٣٤٧هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
- ٢٥- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق تركي فرحان المصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن دراج القسطلي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٤٢٣هـ / ١٠٣١م)
- ٢٦- ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق محمود علي مكي، ط٢، مدريد، ١٩٦١م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
- ٢٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)
- ٢٨- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٢٩- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، مصر، د.ت.
- ابن السباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٩م)
- ٣٠- صدق الأخبار، تاريخ ابن السباط، عني به وحققه عمر عبد السلام تدمري، ط١، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣م.
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
- ٣١- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

- ٣٢- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج١، ١٩٥٣ م، ج٢، ١٩٥٥ م.
- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)
- ٣٣- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤ م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
- ٣٤- الوالي بالوفيات، أعتناء س. ديدرنغ، دار النشر فرانز شتايز بغيستان، ١٩٧٤ م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
- ٣٥- بغية المنتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
- ٣٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١ م؛ ج٢، ج٣ تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإيفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م؛ ج٤، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧ م، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م.
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)
- ٣٧- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٣٨- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي

- عبد البديع، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٣٩- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ٤٠- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
٤٠- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويضي، ط١،
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٤١- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
٤١- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (منسوب)، تحقيق علي
شيري، ط١، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ.
- ٤٢- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
٤٢- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٤٣- ابن القطان، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي
المراكشي (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)
٤٣- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي
مكي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٤٤- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
٤٤- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٤٥- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
٤٥- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- ٤٦- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن
السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
٤٦- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان
جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية،
مدريد، ١٩٧١م.
- ٤٧- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

- ٤٧- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
- ٤٨- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- مجهول، مؤلف (آخر خبره في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٤٩- فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد ١٩٩٤م.
- مجهول، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
- ٥٠- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١، الرياض، ٢٠٠٥م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
- ٥١- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
- ٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، ط٢، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
- ٥٣- فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق إحسان عباس . دار صادر . بيروت . ١٩٦٨م.
- النباهي، أبو الحسن عبد الله بن الحسن (ت بعد سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)
- ٥٤- تاريخ قضاة الأندلس المسمى بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، بيروت، د. ت.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

- ٥٥- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب - الأندلس - صقلية واقريطش ٢٧ - ٧١٩هـ / ٦٤٧ - ١٣١٩م)، من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)
- ٥٦- تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٥٧- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.

ثانياً: المراجع الحديثة

- أدهم، علي
- ١- المعتمد بن عباد، بيروت، د.ت.
- أرسلان، شكيب
- ٢- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٣م.
- ٣- التحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦م.
- أرشيبالد، لويس
- ٤- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- أشباخ، يوسف
- ٥- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
- اشتوي، أشرف يعقوب أحمد

- ٦- الأندلس في عصر الولاة (٩٢ - ١٣٨ هـ / ٧١١ - ٧٥٦ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥ م.
- بروفنسال، ليفي
- ٧- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
- البهادلي، سعاد بدير هاشم
- ٨- قطلونيا دراسة في أحوالها العامة من الفتح إلى سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية ابن رشد، ٢٠١٥ م.
- التميمي، فؤاد
- ٩- التجيبون في الأندلس ودورهم السياسي والفكري من الفتح حتى منتصف القرن السادس الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠ م.
- التواتي، عبد الكريم
- ١٠- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ط١، الدر البيضاء، ١٩٦٧ م.
- جابر، جابر خليفة
- ١١- بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس (٥٢٨ - ٦٣٦ هـ / ١١٣٤ - ١٢٣٨ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٦ م.
- الحايك، سيمون
- ١٢- عبد الرحمن الداخل صقر قريش قصة وحضارة، لبنان، ١٩٨٢ م.
- الحجي، عبد الرحمن علي.
- ١٣- أندلسيات، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٩ م.

- ١٤- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ/ ٧١٠ - ١٤٩١م) ط١، بغداد، ١٩٧٦م.
- حسن، زكي محمد
- ١٥- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٤٥م.
- حسين، حمدي عبد المنعم محمد
- ١٦- ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨ - ٣١٦هـ/ ٧٥٦ - ٩٢٨م)، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- حمودة، علي محمد
- ١٧- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط١، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧م.
- الخالدي، خالد يونس
- ٨- اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٩٢ - ٨٩٧هـ/ ٧١١ - ١٤٩٢م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- الدليمي، حسين حبيب
- ١٩- إمارة بني غانية في الجزائر الشرقية (دراسة في أحوالها السياسية) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٢م.
- دندش، عصمت عبد اللطيف
- ٢٠- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.
- دوزي، رينهرت
- ٢١- تاريخ مسلمي أسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٢٢- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، مصر، ١٩٩٤م.

- ٢٣- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٣٣م.
- دويدار، حسين يوسف
- ٢٤- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٥- ١٠٣٠م)، ط١، مصر، ١٩٩٤م.
- سالم، السيد عبد العزيز
- ٢٥- تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٢٦- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.
- ٢٧- المساجد في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
- سالم، السيد عبد العزيز، والعبادي، أحمد مختار
- ٢٨- تاريخ البحرية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م
- السامرائي، خليل إبراهيم.
- ٢٩- الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥- ٣١٦هـ/ ٧١٣- ٩٢٨م، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦م.
- ٣٠- علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالذول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
- ٣١- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
- الشويلي، عصاك كاطع داود
- ٣٢- الأزمات الاقتصادية وأثرها في المجتمع الأندلسي (٩٢- ٤٢٢هـ/ ٧١٠- ١٠٣٠م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة

- البصرة، ٢٠٠٣م.
- الشيخ، محمد محمد مرسي
- ٣٣- دولة الأفرنجة وعلاقتها بالمسلمين في الأندلس حتى أواخر القرن
العاشر الميلادي (١٣٨ - ٣٦٦هـ/ ٧٥٥ - ٩٧٦م)، الإسكندرية، ١٩٨١م.
- الصوي، خالد
- ٣٤- تاريخ العرب في أسبانيا حتى نهاية الخلافة في الأندلس، ط١، حلب،
١٩٦٣م.
- ٣٥- تاريخ العرب في الأندلس (الفتح وعصر الولاة ٩٢ - ١٣٨هـ/ ٧١٠ -
٧٥٥م) دار النجاح، بيروت، ١٩٧١م.
- طرخان، إبراهيم علي
- ٣٦- المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٦م.
- طه، عبد الواحد ذنون.
- ٣٧- دراسات أندلسية ط١، الموصل، ١٩٨٦م.
- ٣٨- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس،
منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
- ٣٩- أوروبا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط١، مكتبة الانجلو
مصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- العبادي، أحمد مختار
- ٤٠- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط١، الإسكندرية، ١٩٦٨م.
- ٤١- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط١، منشأة المعارف،
الإسكندرية، ٢٠٠٠م
- ٤٢- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،
بيروت، ١٩٧٨م
- عبد القادر، بوحسون

- ٤٣- الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية ثقافية (٦٣٥ - ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨ - ١٤٩٢م) أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ ولآثار، جامعة أبي بكر، بلقايد، الجزائر، ٢٠١٣م.
- العتبي، محمد سعيد رضا علو، والعامري، محمد بشير حسن راضي،
٤٤- تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، بغداد، ٢٠٠٢م.
- علام، عبد الله علي
٤٥- الدولة الموحدية بالمغرب عي عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- العلياوي، حسين جبار مجيتل
٤٦- البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١١م.
- ٤٧- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين (٩٦- ٥٤١هـ/ ٧١٤ - ١١٤٦م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.
- العميرة، محمد نايف جريوان
٤٨- مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.
- عنان، محمد عبد الله
٤٩- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٥٠- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م
- ٥١- دولة الإسلام في الأندلس، ط٣، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.

- ٥٢- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٥٣- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ٥٤- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الغانم، فائق حاكم
- ٥٥- دور البندقية البحري في الحروب الصليبية ٤٩٣- ١٠٩٩/٦٠١هـ، بحث غير منشور، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٢٠٤م، بحث غير منشور، كلية التربية، جامعة البصرة.
- غريال، محمد شفيق (إشراف)
- ٥٦- الموسوعة العربية الميسرة، ط٢، دار الشعب ومؤسسة فرنكين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
- الغنای، مراجع عقيلة
- ٥٧- سقوط دولة الموحدين، ط١، مطابع الشروق، بيروت، ١٩٧٥م.
- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد
- ٥٨- كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون (مأساة الفردوس المفقود) ٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١١- ١٤٩٢م، د. م، ١٩٩٣م.
- ٥٩- معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
- كحيلة، عبادة عبد الرحمن رضا
- ٦٠- الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م.
- كولان، ج. س.
- ٦١- الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دارالكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
- ثوبون، غوستاف
- ٦٢- حضارة العرب، نقلها إلى العربية عادل زعيتر، ط٣، طبع بدار إحياء

- الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاؤه، مصر، ١٩٥٦م.
- لودن، دروثي
- ٦٣- أسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- محمود، منى حسن
- ٦٤- المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (٩٢- ١٠٦٠هـ/ ٧١٠- ٨٢١م) دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- مصطفى، شاكر
- ٦٥- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، د. م، ١٩٨٨م.
- المعاضدي، خاشع، والجميلي، رشيد عبد الله
- ٦٦- تاريخ الدويلات العربية الإسلامية في المشرق والمغرب، ط١، بغداد، ١٩٧٩م.
- مكي، محمود علي
- ٦٧- وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ٧م، ٨، ١٩٥٩- ١٩٦٠م.
- مؤنس، حسين.
- ٦٨- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢- ١٣٨هـ/ ٧١٠- ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.
- المياح، عبد الرحمن رشك شنجار
- ٦٩- أوروبا في كتب البلدانين العرب المسلمين، دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ق٣- ٨هـ/ ٩- ١٤م، بغداد، ٢٠٠٨م.
- المياحي، شكري ناصر، والعلياوي، حسين جبار
- ٧٠- الموقف الشعبي من هجمات النصاري على الأندلس حتى نهاية الدولة العامرية (١١٤- ٣٩٩هـ/ ٧٣٢- ١٠٠٨م)، بحث منشور في مجلة آداب ذي قار، العدد ٦، المجلد ٢، سنة ٢٠١٢م.
- هيكل، أحمد

- ٧١- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢م.
- وات، مونتغمري
- ٧٢- في تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بييركاكيا)،
ترجمة محمد رضا المصري، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م.
- يوسف، كارم محمود إسماعيل
- ٧٣- دور اليمينيين السياسيين في الأندلس من ٩٢- ١٧٢هـ / ٧١٠- ٧٨٨م،
رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،
١٩٩١م.

المحتويات

..... المقدمة

الفصل الأول

..... الجغرافية التاريخية لمدينة برشلونة

..... أولاً: موقعها وحالتها الطبيعية

..... ثانياً: ثروتها الاقتصادية وطبيعتها الاجتماعية

الفصل الثاني

مدينة برشلونة تحت الحكم الإسلامي

..... (٩٤ - ١٨٥هـ / ٧١٢ - ٨٠١م)

..... أولاً: مرحلة الفتح

..... ثانياً: برشلونة في عصر الولاة

..... ثالثاً: برشلونة في عهد الإمارة

..... (١٨٣ - ١٨٥هـ / ٧٥٥ - ٨٠١م)

..... رابعاً: سقوط مدينة برشلونة سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م

الفصل الثالث

مدينة برشلونة تحت الحكم النصراني

ومحاولات المسلمين لاستردادها

..... (١٨٥ - ٤٢٢هـ / ٨٠١ - ١٠٣٠م)

- أولاً: الصراع الإسلامي النصراني على برشلونة
..... (١٨٥ - ٣١٦ هـ / ٨٠١ - ٩٢٨ م)
- ثانياً: الاشتباكات بين الطرفين في عهد الخلافة
..... (٣١٦ - ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م)

الفصل الرابع

- الاشتباكات بين نصارى برشلونة والمسلمين
..... (٤٢٢ - ٦٦٤ هـ / ١٠٣٠ - ١٢٦٩ م)
- أولاً: عهد الطوائف
.....
- ثانياً: عهد المرابطين
.....
- ثالثاً: عهد الموحدين
.....
- المصادر والمراجع
.....